سلسلة أبحاث مركز بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز ـ ١٥

نفحات إيمانية تهدي إلى الرشد والاستقامة في ضوء الكتاب والسنة

الدكتور عبدالله بن سيف الأزدي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب ٨٠٢٠٠ ـ جدة ٢١٥٨٩
المملكة العربية السعودية

العنوان البريدي : مركز البحوث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

ص.ب ٨٠٢٠٢ جـدة ٢١٥٨٩ هاتف : ٦٩٥٢٣٥٣ / فاكس : ٦٩٥١٧٣٢

ردمد : ١٦٥٨-٢٨٢٩

رقم الإيداع : ١٦٢٣ / ١٤٢٧

مطابع جامعة الملك عبدالعزيز

تقـــديـم

الحـمـد لله، نـحـمده علـى أن هيأ لـنا أسبـاب العلم الـنافـع ، وأصلي وأسلم علـى من بعثـه الله - عـز وجل - مـعلمًـا للبشـرية ، سـيدنا محـمـد وعلـى آلـــه وصحابته أجمعين ...وبعد

فإن من أهم واجبات عـضو هيئة التدريس ، إلى جانب العملية التـعليمية، الإسهام بفكره ، وإنتاجه الإبداعي في مجال اهـتماماته وتـخصصه العلمي ، فبذلك يكون قد خدم ذاته، وطلابه، ومـجتمعه، وخدم المعرفة على حد سواء.

ومـجال الأبحـاث العلمـيـة مجـال خـصب ، وميـدان فسـيح للعمل الجـاد ، وللإنتاج العلمي المتخصص. فكلما كان العمل البحـثي موضوعيًا يعتمد على منهـجية واضـحة ، كلـما كانت نـتائجـه مرضيـة ، يمكن الاسـتـفادة منهـا في خدمة الجامعة والمجتمع بأسره.

ومن هذا المنطلق رأينا في مـركـز بحوث كليـة الآداب والعلوم الإنسـانيـة ـ بجـامعـة الملك عبدالعزيز ـ أن نؤطر هذه الجـهود المبذولة من قبل الـزملاء ـ أعضـاء هيئة التـدريس ـ في مجال البـحوث العلميـة ، وذلك بإصدار سلسلة علمـيـة تحت مـسـمـى "سلسلة أبـحـاث مـركـز بحـوث كـليـة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز " .

وقـد آلينا على أنفسـنا المضـي قـدمًـا في هذا التـوجه الحـضـاري العلمي ، لنبرز مـاتنتجـه قرائح السـادة أعـضـاء هـيـئة التدريس من الجنسـين بـالكلية ، وغيرها من الكليات المناظرة في جامعات المملكة .

وهـا نحن نقـدم عـقـدًا من هذه العـقـود المناظرة المنظومـة باسـم « نفـحـات إيمانيـة تهـدي إلى الرشـد والاسـتـقـامـة فى ضـوء الـكـتـاب والسنة » والذي أجراه الزميل الدكتور عبدالله بن سيف الأزدي .

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الملك عبدالعزيز .

ونحن إذ نقدم للقارئ الكريم هذه السلسلة العلمية البحثية المحكمة ، فإننا نتوخى مقومات الأصالة ، والعمق ، والموضوعية ، في كل بحث ينشر في هذه السلسلة البحثية ، متطلعين إلى نقد بناء، واقتراحات هادفة، من أجل الارتقاء بهذه السلسلة إلى الأفضل إن شاء الله تعالى.

موقنين من أن جميع الزملاء، والزميلات سيكونون عونًا لنا في هذا المنحى ، من خلال أبحاثهم المتميزة .

والله ولي التوفيق ،،،.

مدير مركز بحوث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أ.د. إسماعيل بن خليل كتبخانة

المحتويات

المستخلص

هذا البحث دعوة صادقة إلى كل مخلوق من البشر أن يعيش في ظل الإيمان بالله لينال سعادة الدنيا والآخرة.

يوضح هذا البحث القيمة الحقيقية للحياة في ظل الإيمان، ويصوِّر بؤس الحياة، ومأساة الإنسان، وضلاله، ومدى الضياع، والتيه، وضَنْك المعيشة في غياب الإيمان.

كما يهدف إلى إلقاء الضوء على القيمة الإيمانية في سعادة الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة، من خلال مطالب مهمة بلغت سبعة عشر مطلبًا، وقد ذكرتها في قائمة الفهرس بعد هذا الملخص.

ويهدف البحث أيضا إلى بيان أهمية الإيمان وأثره في تصحيح مسار البشرية في تاريخها المعاصر بعد غيابه عن حياة الناس، مما أدى إلى ظهور مخالفات، ومغالطات، ونكسات، وويلات، وأزمات، وخطوب، وحروب في المجتمعات البشرية في كل مكان. وبيان أن ما تعانيه البشرية اليوم إنما هو ناتج عن الإعراض عن العمل بالمفاهيم الإيمانية الصحيحة، كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وكما بثّها في كتبه المنزلة، لتكون سبل نجاة، ووقاية وحماية، تخلص المجتمعات البشرية من أوضاعها المتردية البائسة، وأحوالها المليئة بالشقاء، والعناء، والبأساء، والضرّاء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن المفاهيم الاعتقادية والسلوكية لدى إنسان العصر، غدت تجره إلى سلوكيات منحرفة، وأعمال بائسة عدوانية، ينتج عنها ويلات تهدد الوجود الإنساني، وتقضي على مظاهر المدنية المعاصرة، وعلى معالم الحضارة الإنسانية المتنامية.

ومن هذا المنطلق، فإن الخلاص من شقوة الإنسانية اليوم هو الرجوع إلى مفهوم التدين الصحيح، والعودة إلى المنطلقات الإيمانية، والاعتقادية، التي حملتها الرسالات السماوية عبر التاريخ إلى الأمم، والمجتمعات البشرية.

إن الإنسان في هذا العصر بحاجة شديدة، وملحّة إلى تعميق غريزة التدين الصحيح، من خلال الرسالة الخاتمة إلى العالمين، وهي الإسلام، الذي يقول الله عنه:

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا ﴾[1]. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾[2]. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

فالتدين الصحيح، والإيمان الهادي إلى الرشد، يكونا عن طريق اتباع الإسلام، والتدبر والنظر في القرآن، الذي يهدي للتي هي أقوم، وقد ضرب الله للناس في هذا القرآن أمثلة كثيرة من أنواع التديّن في تاريخ البشرية، كقصة أصحاب الكهف وغيرهم ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴾[4].

---

[1] سورة المائدة الآية (٣).

[2] سورة آل عمران الآية (١٩).

[3] سورة آل عمران الآية (٨٥).

[4] سورة الكهف الآية (١٣).

ومعلوم أن التديُّن غريزة طبيعية ثابتة لدى الإنسان منذ أن وُجد على ظهر الأرض، وهو شعور فطري يدفع الإنسان إلى البحث عن إله مدبِّر، وليس التديّن جديدًا في حياة البشر، بل وجد منذ وجودهم على هذه الأرض، سواء كان الإنسان مؤمنًا بوجود الخالق أو كافرًا به، أو كان من أصحاب الإيمان الذي يخلق معه، ويشكل جزءًا من تكوينه، ولا يمكن لأحد منا أن يخلو من هذا الشعور، أو أن يكون منفصلاً عنه.

هذا هو التديُّن، والمظهر الذي يظهر به، هو تقديس للخالق المدبّر بحسب ما يعتقد الإنسان، وقد يظهر التقديس بمظهره الحقيقي فيكون عبادة، والعبادة حب، وخضوع، وانقياد لله تعالى الخالق المعبود سبحانه. وقد يظهر التقديس بأقل صورة فيكون تعظيمًا وتبجيلا.

ومن صفات المؤمنين بالله أنهم يخافونه ويرجونه، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[2].

والتديّن كغريزة طبيعية، رافق الإنسان منذ أقدم العصور، ولذا فقد عبد الشمس، والكواكب، والنار، وعبد الأصنام، والأوثان، كما أنه عَبَدَ الله.. ولا نجد عصرًا، ولا أمةً ولا شعبًا إلاّ وكانت عنده عبادة، حتى الشعوب التي أجبرها السلاطين والحكام على ترك العبادة، فقد أبت إلاّ أن تكون متديّنة في قرارة أعماقها، رغم كل القوى

---

(١) سورة الأنعام الآية (٥١).

(٢) سورة الكهف الآية (١١٠).

والظلم التي سُلّطت عليها، وقد تحملت في سبيل ذلك الأذى الكثير، مفضّلة في أحيان كثيرة الموت على ترك عبادهّا وأدائها)[١].

إن الكثير من الناس اليوم "على وجه الأرض، ولا سيما في العالم الغربي، يعتقدون بالله ويؤمنون به، لكن اعتقادهم وإيمانهم جُلّه مبني عى أن الله فكرة، لا حقيقة، وهؤلاء يرون أن الإيمان بوجود "إله" إيمان بوجود فكرة الألوهية، وهي فكرة يقولون عنها أنها جميلة، لأن الإنسان يتخيَّلها، ويعتقد بها، ويخضع لسلطانها؛ ومادام الأمر كذلك، فيبتعد عن الشر، ويقترب من الخير بدافع هذه الفكرة. فهي رادع داخلي يفعل أكثر مما يفعله الدافع الخارجي، ولذلك يرون أنه يجب الإيمان بالله، ويجب تشجيع الإيمان به، حتى يظل الناس خيّرين مدفوعين إلى الخير بدافع داخلي يسمونه " الوازع الديني".

ما أسهل ما يُجر هؤلاء إلى الإلحاد، وما أقرب ما يرتدّون عن إيمانهم! هذا بمجرد أن يندفع العقل بالتفكير للمس هذه الفكرة، فإذا لم يلمسها، ولم يدرك لهذا الوجود أثرًا، جحد الله وكفر به؛ وفوق هذا فإن الإيمان بأن الله فكرة، لا حقيقة يجعل الخير، والشر أيضًا فكرة لا حقيقة. وعندئذٍ يقوم الإنسان بالأعمال بقدر ما يتخيَّل فيها من فكرة الخير، ويبتعد عنها بقدر ما يتخيّل فيها من فكرة الشر"[٢].

إن الله هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، المعبود الحق، المتصرف في هذا الكون، وكل ما فيه دليل وحدانيته سبحانه وتعالى. ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)﴾[٣].

---

[١] *طريق الإيمان*، **سميح عاطف الزين**، ص ص: ١٤٣- ١٤٤.

[٢] المصدر السابق، ص٢١٥.

[٣] سورة الذاريات الآيات (٢٠-٢٣).

إنه الإيمان المطلق بوجود إله يستحق العبادة، ورب يدبّر شؤون الخلق، ويصرف أمور الكون، والإنسان، والحياة. ومن هنا جاءت الدعوة الصادقة إلى أن تراجع البشرية قضية التديُّن، وقضية الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه.

إن واقع أحوال البشرية ينذر بانسلاخ المؤمنين بالله من عقيدتهم وإيمانهم، بما يمثله هذا الواقع من زيغ عن الهدى، والمبادئ، والأخلاق، والقيم التي جاءت بها رسالات الله إلى البشرية، وآخرها رسالة الإسلام إلى الناس جميعًا. قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : " بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء"[(١)].

إنه واقع أليم أفرزته الأفكار الشاذّة، والمذاهب الهدّامة، والمعتقدات الفاسدة، والكفر والإلحاد، والنزغات الشيطانية، ومؤثرات الثورة المعلوماتية، والثقافات الناتجة عن الهيمنة والعولمة، والمدعومة بالتقدم العلمي، والحضاري، والتقني، والاقتصادي، والعسكري، التي أزاغت القلوب، وأفسدت العقول، وأماتت الأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية، واقتلعت جذوة الإيمان والمعتقدات من قلوب الناس، وبخاصة المؤمنين بالله من أصحاب الديانات السماوية.

إنه واقع يسوده الانحراف والإجرام، والإلحاد والزيغ، والطغيان والظلم والعدوان، وهذا نذير بشقاء البشرية وهلاكها. وليس هناك من مخرج إلاّ أن يعود المؤمنون بالله إلى الإيمان الصحيح، الذي يجلب لهم الأمن والأمان والاستقرار، ويخرجهم من ظلمات الكفر والإلحاد، إلى نور الإيمان الذي يهديهم إلى سبل السلام والرشاد، ويجلب لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ١/١٣٠، ح ٢٣٢ – (١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد في المسند ١/١٨٤، ٣٩٨. والترمذي ٥/١٨، ح ٢٦٢٩ من حديث ابن مسعود .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٣].

إن الحياة الطيبة السعيدة تحصل في ظل الإيمان بالله، وعلى المؤمنين بالله – وبخاصة أمّة الإسلام– أن يعودوا إلى المنهج الإيماني الإلهي الذي يؤمن لهم الحماية من الزيغ والضلال، والشقاء والخسران، ويكفل لهم الحياة الطيبة، والاستقامة على الملّة، والسعادة الأبدية.

ومن هذا الواقع المظلم المؤلم في قضية زعزعة الإيمان، وخلخلة مفاهيمه في حياة البشرية، وفي حياة الكثير من المسلمين المؤمنين بالله، تأتي فكرة هذا البحث : " نفحات إيمانية تهدي إلى الرشد والاستقامة في ضوء الكتاب والسنّة " أتناول فيه موضوعات مهمة، وهي سبعة عشر مطلبًا، لأبيّن من خلالها أهمية الإيمان لحياة البشرية، والحاجة الشديدة إليه في تاريخنا المعاصر، لأن الرجوع إلى المفاهيم الإيمانية الصحيحة ينقذ الإنسانية مما تعاني نتيجة لبعدها عن الله والإيمان به، وما يتبع ذلك من أمور الإيمان، وهي كثيرة.

وحان لي أن أشرع في بيان هذه الموضوعات وبيان أثرها في الاستقامة، وحسن السلوك، وتأمين السعادة للإنسان في الحياة الدنيا، وفي الآخرة. وأبدأ بتعريف الإيمان، ثم

---

(١) سورة يونس الآية (٩).

(٢) سورة النحل الآية (٩٧).

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٤).

ببيان أثر أركان الإسلام في هذا الشأن، مستعينًا بالله، وسائلاً إياه التوفيق والسداد، وحسن الإعداد.

المطلب الأول: تعريف الإيمان

الإيمان لغة هو التصديق، وضده التكذيب والكفر، يُقال:آمن به قوم، وكذّب به قوم، وهو مصدر آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللُّغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[١]. قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٢]، وقال : ﴿وما أنت بمؤمن لنا ﴾[٣] أي: مصدق.

وحَدَّ الزجاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي – صلّى الله عليه وسلّم- واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك [٤].

وأحسن ما عُرّفَ به الإيمان اصطلاحًا: أنه "اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية" [٥].

وهذا التعريف مأخوذ من تعريف النبي – صلّى الله عليه وسلّم – للإيمان، في حديث جبريل – عليه السلام – وفيه : " فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله،

---

(١) انظر *اللسان* ١٣/٢١، ٢٣. مادة (أمن). شرح *صحيح مسلم* للقاضي **عياض** ١/٢٠٣ .

(٢) سورة الحجرات الآية (١٤).

(٣) سورة يوسف الآية (١٧).

(٤) *اللسان* ١٣/٢٣.

(٥) انظر *كتاب الإيمان* **لابن منده** ٢/٣١٤. *السنّة*، **عبدالله بن أحمد بن حنبل**، ص(٣٠٧). *صحيح البخاري، مختصر* **الزبيدي**، ص٣٣. *الثقافة الإسلامية* (١٠١) **علي عمر بادحدح وآخرون**، ص١١٠.

وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله"[١]. وفي هـــذا الحديث عرّف الإيمان بالاعتقادات الباطنة.

وفي حديث وفد عبد القيس الآتي ذكره، عرّفه بالأعمـــال الظـــاهرة، وفيـــه: "أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخُمس"[٢].

والإيمان بالله هو إيمان بالغيب، ولذلك كان أول وصف للمؤمنين في مفتتح سورة البقرة أنهم : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[٣]. والحديث عن الإيمان يقتـــضي أن أشـــير إلى أركانه الستة، وما لها من أثر في حياة الإنسان، واستقامة سلوكه.

المطلب الثاني: أركان الإيمان والإسلام إجمالاً

الإيمان لا يكون له ثمرة في حياة الناس ما لم تتحقق أركانه، وهـــي الإيمـــان بـــالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره، وهذا حـــديث موجز عن هذه الأركان وأثرها في استقامة السلوك الإنساني.

وقبل البدء في الحديث عنها، أود أن أبين علاقة أركان الإيمان وأركان الإســـلام بالإسلام باطنًا وظاهرًا، إذ يتضمن أصل الإيمان – وهو التصديق الباطن – الإيمـــان في أعماله الظاهرة، وهي أركانه الخمسة، وبيان ذلك بإيراد حديث جبريل المـــشهور، ثم ذكر ما قاله ابن الصلاح في شرحه.

---

(١) أخرجه **مسلم** ٣٩/١، ٤٠، حديث رقم (٩). وأخرجه البخاري بنحو مختصر **الزبيدي**، ص٣٤.

(٢) أخرجه **البخاري** بهذا اللفظ، عن ابن عباس. مختصر الزبيدي، ص٣٥، ح٤٩.

(٣) سورة البقرة، الآية (٣).

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: " بينما نحن عند رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبي – صلّى الله عليه وسلّم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: " أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " . قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال : "أن تلد الأمَة ربّتها، وأن ترى الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان ". قال: ثم انطلق، فلبثت مليًّا، ثم قال لي : " يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: " فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم " [(١)].

قال ابن الصلاح[(٢)]: قوله: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: " أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه".

---

(١) أخرجه **مسلم** في *الإيمان* ١/٣٦- ٣٨، ح١.

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام، أبو عمرو عثمان بن موسى الكردي، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، له كتاب في شرح صحيح مسلم فيه فوائد جمّة سيأتي ذكره. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٣/٢٤٣-٢٤٥؛ *البداية والنهاية* ١٣/١٦٨-١٦٩؛ *تذكرة الحفاظ* ٤/١٤٣٠-١٤٣٣.

فهذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، إذ قوله: " وأن تؤمن" معناه: أن تصدّق وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، لأنها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه بها يُشعر بانحلال قيد انقياده، أو اختلاله، ثم إنّ اسم الإيمان يتناول ما فُسِّر به الإسلام في هذا الحديث، وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن، الذي هو أصل الإيمان، ومقويات ومتممات وحافظات له [١].

ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة، أو ترك فريضة، لأن اسم الشيء مطلقًا يقع على الكامل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلاّ بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه[٢] في مثل قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : " لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " [٣].

واسم الإسلام يتناول أيضًا ما هو أصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، ويتناول سائر الطاعات، فإن ذلك كله استسلام أيضًا. فخرج مما ذكرناه وحققناه أنّ الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا. فهذا والحمد لله الهادي تحقيق وافٍ بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنّة الواردة في الإيمان والإسلام، التي طالما غلط فيها الخائضون " أهـ[٤].

---

(١) *صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط*، **لأبي عمرو بن الصلاح**، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبد القادر، ص ص:١٣١- ١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المظالم: ٣/١٧٨، باب النهي بغير إذن صاحبه، ومسلم في الإيمان، حديث (٥٧)، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، والترمذي في الإيمان، حديث (٢٦٢٧)، باب – لا يزني الزاني وهو مؤمن – ، وأبو داود في كتاب السنة، حديث (٤٦٨٩)، وابن ماجه في الفتن، حديث (٣٩٣٦)، باب النهي عن النهبة، والنسائي، ٨/٦٥، في كتاب قطع السارق، باب تعظيم السرقة، وانظر *مختصر سنن أبي داود*: ٧/٥٣.

(٤) هذا نهاية كلام **ابن الصلاح** في كتابه: *صيانة صحيح مسلم*، ص١٣٣.

وقال ابن تيمية – رحمه الله – بعد أن أورد أركان الإيمان والإسلام، كما جاءت في حديث جبريل : " وحديث جبريل يبين أن الإسلام المبني على خمس: هو الإسلام نفسه، ليس المبنيّ غير المبنيّ عليه، بل جعل النبي – صلّى الله عليه وسلّم – الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليه الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا، كما هو في سائر الأحاديث[١]، كالحديث الذي رواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال له : " أسلم تسلم" قال: وما الإسلام؟ قال: " أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك " قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: "الإيمان" قال: وما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالبعث بعد الموت" قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: "الهجرة" قال: وما الهجرة؟ قال: " أن تهجر السوء" قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: " الجهاد" قال: وما الجهاد؟ قال: " أن تجاهد، أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم، ولا تغلل، ولا تجبن"، ثم قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "عملان هما أفضل الأعمال، إلاّ من عمل بمثلهما، قالها ثلاثًا: حجّة مبرورة، أو عمرة "[٢].

ولهذا يذكر هذه المراتب الأربعة فيقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه لله "[٣].

---

[١] كتاب *الإيمان* **لابن تيمية**، ص ٢.

[٢] رواه **أحمد** في *"المسند"* ١١٤/٤ من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن عبسة، وله شواهد خرجها الألباني في الصحيحة (٥٥١).

[٣] رواه أحمد بهذا التمام عن فضالة بسند صحيح .

ومعلوم أن من كان مأمونًا على الدماء والأموال، كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده، ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه [١] .

المطلب الثالث: الإيمان بالله

الإيمان بالله هو اعتقاد جازم بوجود الله، ومعرفته معرفة حقيقية، نعترف له بالألوهية، والوحدانية، والربوبية، ونؤمن بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى[٢].

والإيمان بالله هو " الاعتقاد الجازم بأن الله ربّ كل شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، وأنه المستحق لأن يفرد بالعبودية والذل والخضوع، وجميع أنواع العبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال، والمنزّه من كل عيب ونقص"[٣] .

" والإيمان بالله أسمى أركان الإيمان، وأهم الأصول الاعتقادية والعملية، لأنه رأس الدين، ولب القرآن، وعليه مدار الإسلام، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الركن اهتمامًا عظيمًا، وعني بتقريره أبلغ عناية، ذلك أن القرآن إما حديث مباشر عن الله تعالى: ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، كآية الكرسي، وسورة الإخلاص، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يُعبد من دونه من آلهة باطلة، وإما أمر بطاعته سبحانه ونهي عن معصيته، وإما إخبار عن أهل الإيمان، وما فُعل بهم في الدنيا من الكرامة، وما يثيبهم به في الآخرة في دار النعيم، وإما إخبار عن أعداء الله الكافرين، وما فُعل بهم في الدنيا من النكال، وما سيُفعل بهم في الآخرة في دار العذاب"[٤] .

---

[١] كتاب الإيمان **لابن تيمية**، ص ٣ .

[٢] انظر *معارج القبول*، ١/١٣.

[٣] *الكواشف الجلية عن معاني الواسطية*، **عبدالعزيز السلمان**، ص ص: ٥٣- ٥٤.

[٤] *منهج الإسلام في مكافحة الجريمة*، **عبدالرحمن بن إبراهيم الجريوي**، ١/١٣٨. وانظر *العقيدة في الله*: **عمر الأسقر**، ص٥٥، *مدارج السالكين*: **ابن القيم**، ٣/٤٥٠.

وهذا الجانب الإيماني الاعتقادي كان محل اهتمام الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– حيث بدأ بالدعوة إليه وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة الإسلامية، وهو جانب نظري يتطلب الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشرّه، إيمانًا جازمًا لا يرقى إليه شك ولا شبهة[١].

ومن الأدلّة القرآنية التي توضح هذا الجانب العقائدي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ [٢].

المطلب الرابع: الإيمان بالملائكة

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو الركن الثاني بعد الإيمان بالله. والملائكة هم عباد الله المكرمون، والسفرة بينه وبين رسله – عليهم الصلاة والسلام – وهم (الكرام) خَلقًا وخُلُقًا، والكرام على الله . وهم (البررة) الطاهرون ذاتًا وأفعالاً، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتًا لله ولا أولادًا، ولا شركاء معه، ولا أندادًا. تعالى الله عما يقول الظالمون، والجاحدون، والملحدون، علوًّا كبيرًا[٣] .

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ

---

(١) راجع، *الثقافة الإسلامية*، **عبدالواحد الفار**، ص١٣. *المدخل إلى الثقافة الإسلامية*: **محمد رشاد سالم**، ص ١٧٦. فصول في الأخلاق الإسلامية، للباحث، ص٤٥.

(٢) سورة النساء: الآية (١٣٦).

(٣) انظر *معارج القبول*، ٢/٧٧.

إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾[١].

ومن المهم أن نعرف أن الملائكة: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مـا يُؤمَرُونَ﴾[٢] وهذا ما يجعل المؤمن يحرص كل الحرص على التشبّه بهم، أو محاولـة أن يمتنع عن العصيان، واقتراف الذنوب تأسيًا بهم، وليس هناك مانع من محاولـة التـشبّه بأعمال الملائكة وأن يكون بعيدًا كل البعد عن الانحراف، والإجرام، وإن كان مجبـولاً تؤثر فيه الغرائز والأهواء والشهوات. ولما كانت الملائكة على تلك الصفة من الطاعـة والعبادة، ويسبِّحونه ولا يفترون، مدحهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْـدَ رَبِّـكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[٣]، وإنما ذكرهم بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عزَّ وجـلَّ كما جاء في الحديث : "ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربّها يتمّـون الـصفوف الأوَّل فالأوّل، ويتراصّون في الصف" [٤]. ووصفهم بأنهم مقرَّبون منه، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٥]. أي: لن يـأنف المسـيح ولن يترفّـع عن أن يكون عبدًا لله لعلمه بعظمة الله، وما يجب له من العبودية والشكر، ولا الملائكة المقرّبون يستنكف أحد منهم أن يكون عبدًا له [٦].

---

(١) سورة الأنبياء الآيات (٢٦ - ٢٩).

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٦)

(٤) أخرجه مسلم، ح ٤٣٠، وأبو داود، ج ٦٦١.

(٥) سورة النساء الآية (١٧٢) .

(٦) *تفسير المراغي*، م ٢، ج ٦، ص ٣٤ .

المطلب الخامس: الإيمان بالكتب المنزلة

الكتب السماوية المنزلة على رسل الله، ومنها صحف إبراهيم وموسى، وزبور داود، والتوراة، والإنجيل، والقرآن، هي كتب إلهية ربّانية نزلت هداية للناس، فبلغها مَنْ أرسلوا بها من الرسل إلى مَنْ أرسلوا إليهم من الأقوام بعزيمة، وحرص، وأمانة. وكان الهدف من نزولها هو الإيمان بها تصديقًا، واعتقادًا، وقولاً، وعملاً، وإخراج الناس من ظلمات الجهالات، إلى نور الإيمان بالله، والدعوة إلى توحيده وعبادته، واستخلاف الناس في الأرض وعمارتها وإصلاحها، وعدم الإفساد فيها.

ومن هذا المنطلق بدأ تاريخ الإيمان وأثره في استقامة السلوك الإنساني، وأخذ الناس في كل زمان ومكان يعبدون الله على علم، وبصيرة، وهداية.

واستهدفت هذه الكتب المنزلة فيما استهدفته تصحيح عقيدة التوحيد أولاً، وتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ثانيًا، ومعالجة الأمراض العقديّة أو الخلقية، أو الاجتماعية، التي كانت متفشية في أقوام الرسل ثالثًا. فهناك صحف إبراهيم وموسى- عليهما السلام: ﴿إنّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولَى، صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[1]. وهناك الزبور الذي أنزله الله إلى داود – عليه السلام- ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[2]. وهناك التوراة التي أنزلها الله على موسى : ﴿وَلَقَد آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾[3]. وهناك الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى بن مريم : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإنجيل فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾[4]. كل هذه الصحف والكتب استهدفت هداية أُناس معينين في أوقات محددة. وقد كان آخر هذه الكتب القرآن الكريم لهداية

---

(١) سورة الأعلى: الآية (١٩).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٧).

(٤) سورة المائدة: الآية (٤٦).

الناس كافة في كل الأزمنة حتى قيام الساعة: ﴿ إِنَّا نَحْـــنُ نزَّلْنَـــا الـــذِكْرَ وإِنَّـــا لَـــهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

والقرآن كتاب يهدي للتي هي أقوم، وهو كتاب عقيدة وشريعة[٢] ومنهاج حياة.

المطلب السادس: الإيمان بالرسل

الرسل – عليهم الصلاة والسلام- صفوة الخلق، وهم القدوة المثلى لكل من آمـــن بهم، وسلك سبيلهم، واتبع هداهم، وهم أعظم من تحقـــق فـــيهم وازع الرســـالات السماوية، حيث كانوا ملتزمين بما جاءوا به، ويدعون الناس إليه، عصمهم الله من إتيان المعصية، وارتكاب الجريمة.

لذا فالإيمان بهم يحقق لأتباعهم المؤمنين السعادة، وحسن السيرة والسلوك في الحياة الدنيا، ويؤمنهم من الخوف والفزع في الدار الآخرة.

والمؤمنون بهم وبرسالاتهم عبر التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومـــن عليهـــا، وجدوا أثر هذا الوازع الديني في نفوسهم. وكذلك حال من يؤمن بهم اليـــوم، وبعـــد اليوم، إلى قيام الساعة، سيجدون نفحات هذا الوازع الإيماني يعصمهم من الانحـــراف، والوقوع في الجريمة، لأنهم يقتدون بأولئك الرسل المعصومين من العـــصيان، واقتـــراف الذنوب. ويعرفون أن ما جاءوا به من عند الله هو الخير الذي لا خير يعلو عليه، والعدل الذي لا يعلوه عدل، والنظافة التي ليس فوقها نظافة[٣]. ﴿وَنَفْسٍ وَمَـــا سَـــوَّاهَا (٧)

---

[١] سورة المائدة: الآية (٤٨).

[٢] انظر *تاريخ التشريع الإسلامي*، **منّاع القطّان**، ص٤٠، *الإسلام ومواجهـــة الجريمـــة*، **نبيـــل الـــسمالوطي**، ص ص: ٢٥٧- ٢٥٨.

[٣] انظر *مدخل إلى الثقافة الإسلامية*، **سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، نعمان عبـــدالرزاق الـــسامرائي**، ص١٣٦.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾[١].

والإيمان بالرسل – عليهم الصلاة والسلام- هو الاعتقاد الجازم بأن الله – سبحانه وتعالى – بعث في كل أمّة رسولاً منهم يدلّهم على الخير، ويدعوهم إليه، ويعرفهم بالشر، ويحذّرهم منه، رحمة منه سبحانه بعباده: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢]. والإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، وأساس من أسس العقيدة الإسلامية، بيَّن الله تعالى وجوب الإيمان بهم في آيات عديدة من كتابه الكريم، منها قوله عزَّ وجلَّ : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[٤].

وما أجمل ما قاله ابن القيم – رحمه الله- عندما تحدّث عن أهمية الإيمان بالأنبياء والرسل فقال: " لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيّب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتّة إلاّ على أيديهم، فالطيّب من الأعمال، والأقوال، والأخلاق ليس إلاّ هديهم، وما جاءوا به، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرِضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير" [٥].

---

[١] سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

[٢] سورة النساء الآية (١٦٥).

[٣] سورة البقرة الآية (٢٨٥).

[٤] سورة البقرة الآية (١٧٧).

[٥] *زاد المعاد في هدي خير العباد*، ٦٩/١، *منهج الإسلام في مكافحة الجريمة*، **عبدالرحمن الجريوي**، ١٥٠/١.

وهؤلاء الأنبياء والرسل أرسلهم الله – عزَّ وجلَّ – إلى الأمم في جميع العصور، فلم تخل أمّة من رسول يدعوها إلى الله ويرشدها إلى الحق كما أشارت الآيات الكريمة: ﴿وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١]، " أي سلف فيها نبي " [٢]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[٣]، " يرسله الله إليهم ويبيّن لهم ما شرعه الله لهم من الأحكام على حسب ما تقتضيه المصلحة" [٤] ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٥] أي " نبي يدعوهم إلى الله "[٦].

(وقد اختار الله تعالى الرسل الكرام من بين الناس، وجعلهم أئمةً يهدون العباد إلى توحيد الله وتحكيم شرائعه، وهم أمثلة عالية في عمل الخير وتنفيذ أوامر الله، لذلك فإن الإسلام ينظر إليهم بوصفهم أمثل الناس، وأفضلهم، وأعلاهم درجةً وقدرًا، وأسماهم تصورًا وسلوكًا. كيف لا وقد اختارهم الله تعالى رسلاً: ﴿اللهُ أعلَم حيْثُ يجْعَل رِسَالته﴾[٧].

وهو: ﴿يصْطَفِي مِنَ الملائكَةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ﴾[٨]، لذلك فهم منزّهون عن المعاصي، معصومون من الخطايا، ليصح الاقتداء بهم في سائر سلوكهم، وجميع أحوالهم. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [٩].

---

(١) سورة فاطر: الآية (٢٤).

(٢) تفسير القرطبي، ٤/٣٤٠.

(٣) سورة يونس: الآية (٤٧).

(٤) فتح القدير: الشوكاني ٢/٤٤٩.

(٥) سورة الرعد : الآية (٧).

(٦) تفسير القرطبي ٩/٢٨٥.

(٧) سورة الأنعام الآية (١٢٤).

(٨) سورة الحج الآية (٧٥).

(٩) سورة الأنبياء الآية (٧٣).

المطلب السابع: الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر وما يتصل به، هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وقد حوى القرآن الكريم كثيرًا من الآيات في شأنه، لتكون الصورة واضحة لدى المسلم، حتى يأخذ حذره من مغبّة التعدّي على حدود الله في الحياة الدنيا، ولكي يكبح جماح النفس الأمَّارة بالسوء.

إن الإيمان باليوم الآخر يقتضي الاستقامة على طريق الحق، والعدل، والخير، والهدى، والنور، واتباع سيد المرسلين بما جاء به من عند الله.

والإيمان باليوم الآخر هو جزء من الإيمان الكامل الشامل في رسالات الله، وهو رباط وثيق، وله صلة مباشرة في حسن السلوك الإنساني.

قال الله تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤمنون بما أُنْزِلَ إليك وما أُنزِل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ ولكنّ البِرَّ من آمن بالله واليوم الآخر... ﴾ الآية[٢].

إن الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، كل ذلك يلقي بظلاله على المؤمنين بالله، خوفًا وطمعًا، والخائفون المشفقون لابد أن يقفوا مع النفس، ويحاولوا إصلاحها، ويعملوا من الصالحات، والفضائل، والخيرات، والمبرات، ما يؤهلهم لدخول الجنّات، والفوز بالنعيم المقيم الأبدي.

إنّ خوف الخائفين والمشفقين من المصير يدغدغ مشاعرهم وعواطفهم الإيمانية، حتى يشعروا بأنها نذر تحذرهم من الانطلاق أمام شهوات النفوس، والابتعاد عن معالم التقى والهداية، وعندهم من الوازع الديني ما يدفعهم إلى العمل بمنهج الإسلام كاملاً غير منقوص. وهذه الآيات القرآنية من سورة النازعات، وسورة عبس، تكفي لكبح جماح النفوس واستقامة السلوك، وعدم ارتكاب المحرّمات. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ

---

(١) سورة البقرة الآية (٤).

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٧).

الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾[١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾[٢].

وفي جملة من أحاديث النبي – صلّى الله عليه وسلّم- يتبيّن لنا أنه – صلّى الله عليه وسلّم – كان يربط بين الإيمان باليوم الآخر، واستقامة سلوك المؤمن. (عن أبي هريرة– رضي الله عنه – عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[٣].

قال الإمام النووي-رحمه الله: " قوله – صلّى الله عليه وسلّم – "من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه" وفي الرواية الأخرى (فلا يؤذي جاره) قال أهل اللغة: يُقال صمت يصمت بضم الميم صمتًا وصموتًا وصماتًا

---

[١] سورة النازعات الآيات (٣٤-٤٦).

[٢] سورة عبس الآيات (٣٣-٤٢).

[٣] أخرجه **مسلم** في *الإيمان*، ١/٦٨، ح ٤٧.

أي: سكت. قال الجوهري: ويقال: اصمت بمعنى صمت، والتصميت السكوت، والتصميت أيضًا التسكيت[١].. قال القاضي عياض – رحمه الله – معنى الحديث : أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرّهما، وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه، وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إليه في كتابه العزيز[٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت "[٣].

إن الحضارة المادية خاضت من الحروب والاقتتال حتى كلّت وملّت، سببها الأول أنها آمنت بالحياة الدنيا، وتجاهلت اليوم الآخر إلى حد كبير. وهي اليوم تنفق على آلة الحرب والدمار، ما لو أنفق بعضه لما بقي جائع في الأرض. وهي تتصارع اليوم على الفضاء وأعماق البحر، وقد أثمر هذا السلوك خللاً يصعب إصلاحه، فإن نسبة عشرين بالمائة من البشر تملك تسعين بالمائة من الثروة، ويملك مائة من أغنياء العالم مالا يملكه ثلاثة آلاف مليار إنسان . وهناك دول تمنع التوسع في زراعة الحبوب، وتحرق بعض المحصول، وتدفع ملايين لمزارعيها – كما في أمريكا- كي لا يتوسعوا في الزراعة، فتهبط أثمان الحبوب، على حين يموت الملايين جوعًا. إن الأغنياء يسرقون أموال الفقراء ليلاً ونهارًا ليبنوا بها عواصم، ومدنًا، وجامعات، كما يقول شيخ الوجودية سارتر. ومع ذلك فهل يعيش المترفون الناهبون السارقون بهناء وسعادة؟ كلاّ ثم كلاّ.

لقد قسم الله تعالى الحظوظ والأرزاق، فالمؤمن سعيد بإيمانه واطمئنانه، وهؤلاء لهم (الضنك) رغم المال والصحة ورفاه المدن ، ولن يستطيع أحد أن يغيّر هذه المعادلة

---

[١] *شرح صحيح مسلم*، **النووي** ٣٧٧/٢.

[٢] *إكمال المعلم بفوائد مسلم* ٢٨٤/١.

[٣] أخرجه **مسلم** ٦٨/١ في *الإيمان*، ح الباب (٧٥).

سوى الله تعالى، أو يغيّر فيها أو يبدّلها [١].

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [٢].

يقول أحد الدارسين: " الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون. والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصدر الذي ينتهي إليه هذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالبداية والنهاية يستطيع الإنسان أن يتخذ من الوسائل ما يصل به إلى الهدف، ويبلغ الغاية" [٣]. وحياة الإنسان دون الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم الحساب، أو يوم الدين، أو يوم الخلود، إما في الجنّة أو في النّار، تصبح عبثًا لا معنى لها، ولا يستسيغها العقل السليم.

يقول الله تعالى: ﴿أفحسبتُم أنّما خلقناكم عبثًا وأنّكُم إلينا لا تُرْجَعون﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت ثم إلينا تُرجَعون﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه تُرجَعون﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿وهو خلقكم أول مرّة وإليه تُرجَعون﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعَثوا قل بلى وربّي لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتم وذلك على الله يسير﴾[٨].

---

(١) *مدخل إلى الثقافة الإسلامية*، **سعود بن سلمان بن محمد آل سعود، نعمان عبدالرزاق السامرائي**، ص ص: ١٤٧- ١٤٨.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٤٢).

(٣) *الإسلام ومواجهة الجريمة*، **نبيل السمالوطي**، ص٢٦٥.

(٤) سورة المؤمنون الآية (١١٥).

(٥) سورة العنكبوت الآية (٥٧).

(٦) سورة (يس) الآية (٨٣).

(٧) سورة فصلت الآية (٢١)

(٨) سورة التغابن الآية (٧). وانظر تفسيرها، **السعدي**، ص٨٦٦، **الظلال** ٣٥٨٧/٦.

والإيمان باليوم الآخر هو يوم الحساب، وهو يوم الحسرة على الكفّار والمشركين، الذين انحرفوا عن الإسلام عقيدةً وفكرًا وسلوكًا، وهو يوم الفوز بالجنّة للمؤمنين الصالحين، الصادقين، والمستقيمين عقيدة، وفكرًا، وسلوكًا، طبقًا للمنهج الإسلامي القويم، هذا الإيمان يعصم الإنسان من الانحراف وارتكاب الجرائم، لأنه يعلم أنه سيلاقي ربّه ويحاسب على كل ما فعله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. قال تعالى: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربّكم تُرجَعون﴾[1].

ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر يحمله على السواء والاستقامة، وتجنب الانحراف. فأركان الإيمان متكاملة. فالله الخالق المصوِّر سبحانه وتعالى، مُطَّلِعٌ على نيَّة الإنسان وأفكاره وأعماله، والملائكة يكتبون كل ما يفعله الإنسان، والرسل أُرسِلوا بالكتب مبيِّنين المنهج، ومبشّرين ومنذرين، والإنسان حتمًا سيلاقي ربّه، ويُسْأل عن كل ما فعله، وهو مجزي بعمله ثوابًا وعقابًا[2].

هذا الإيمان خير واقٍ من الانحراف، واتباع الشهوات والملذّات، وهو يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبعد عن سبيل المجرمين.

ويأتي الإيمان بالقضاء والقدر- خيره وشره- وهو الركن السادس من أركان الإيمان ليضع النقاط على الحروف في سير الحياة وأمور الكون، وشؤون المخلوقات، والناس أجمعين.

المطلب الثامن: طعم الإيمان

الإيمان له طعم وحلاوة، يقذف في القلب، ويُملأ به الصدر، ويظهر على الجوارح، فلا تغشى معصية، ولا تعمل سيئة، وتلك هي الهداية والرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد – صلّى الله عليه وسلّم – رسولاً، ﴿ومن يؤمن بالله يهدِ

---

(١) سورة الجاثية الآية (١٥) .

(٢) *الإسلام ومواجهة الجريمة*، **السمالوطي**، ص ٢٦٥.

قلبه﴾[١]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢].

ويأتي الرسول الكريم فيصوّر هذه الحالة الإيمانية التي يبلغها المؤمن فيقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً"[٣].

قال الإمام النووي: "قوله – صلّى الله عليه وسلّم – ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً" قال صاحب التحرير – رحمه الله – معنى رضيت بالشيء، قنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلاّ ما يوافق شريعة محمد – صلّى الله عليه وسلّم – ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه، وذاق طعمه. وقال القاضي عياض – رحمه الله – معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة بشاشته قلبه، لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى، ولذّت له والله أعلم)[٤].

إن من يخالط الإيمان قلبه، ويحس بحلاوته، ويتذوّق طعمه، فإنه ولا شك قد ملأ هذا الإيمان كيانه، واستولى على ضميره، وتحكم في جوارحه، وحينئذٍ ينقاد هذا الإنسان لخالقه، ويتبع منهاجه في الحياة، وهذا هو الأثر الإيماني الذي يغيّر السلوك الإنساني، ويجد الإنسان طعمه. إن الإيمان له طعم وحلاوة، ويذوق طعمه من رضي بهذه المعتقدات وهي: أنّ الله ربّه، والإسلام دينه، ومحمدًا – صلّى الله عليه وسلّم – رسول من عند الله. فمن رضي هذه المعتقدات من قلبه ذاق طعم الإيمان.

---

[١] سورة التغابن الآية (١١).

[٢] سورة التغابن الآية (٩).

[٣] هذا الحديث رواه **مسلم** ٦٢/١ في *الإيمان*، ح ٣٤، عن العباس بن عبد المطلب.

[٤] *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، **للقاضي عياض** ٢٧٠/١. وانظر: صحيح مسلم بشرح **النووي**، ٣٦١/٢.

وفي ذلك تصوير المعاني بأمور محسّة، فالإيمان أمر معنوي، ولكنه يبدو هنا في النص شيئًا طيبًا يذوق طعمه ناس معيّنون، يخشون ربّهم من فوقهم، ويخافون سوء الحساب يوم القيامة، لذلك التزموا الاستقامة على الطريق المؤدي إلى جنّة عرضها السموات والأرض أعِدَّت للمتّقين، وامتنعوا عن سلوك السبل المؤدية إلى غير ذلك.

والإيمان يمنع صاحبه من التعدي على محارم الله. قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "الإيمان قيَّدَ الفَتْك[1]، لا يفتك مؤمن"[2]. إنّ الإيمان يبدو في هذا النص قيدًا يمنع صاحبه من الفتك، كما يمنع القيد المرء من الحركة، والدخول، والخروج، فالمؤمن لا يفتك.

إن الإيمان وحده هو الذي يمنع الجريمة منعًا حقيقيًا، أما العوامل الأخرى كالقانون أو السلطة، أو المصلحة، فإنها قد تساعد على منع الجريمة، ولكنها لا تبلغ مستوى الإيمان في الوقاية [3].

إن الإيمان قيد الفتك، لا يجعل المؤمن يرتكب الجريمة بقتل أو غيره في حق مسلم أو معاهد، أو غيرهما. عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "من قتل معاهدًا في غير كنهه حرّم الله عليه الجنّة"[4].

وهكذا يجد المسلم لذة الاستقامة في ظل الإيمان، ويجد السعادة الحقيقية حين يتذوّق طعم الإيمان المبني على الرضا، والتسليم، والانقياد لرب العباد، وتلك هي الحياة

---

[1] الفَتْكُ: ركوب ما همَّ من الأمور، ودعت إليه النفس، والفاتك: الجريء الصّدر، والجمع الفُتاك، وفتك بالرجل فَتْكًا، انتهز منه غرة فقتله أو جرحه، وكل من قتل رجلاً غارًا فهو فاتك، *اللسان* ٤٧٢/١٠.

[2] أخرجه أحمد في *المسند* ٦٦٦/١، عن الزبير بن العوام، وذكره **الهيثمي** في *المجمع* ٩٦/١، وقال: رواه أحمد، وفيه مبارك بن فضالة، ولكنه مدلس. وقد قال: حدثنا الحسن.

[3] انظر *التصوير الفني في الحديث النبوي*، **الصباغ**، ص٢٧٧.

[4] رواه أبو داوود ٨٣/٣، ح ٢٧٦٠.

الطيبة التي تخللتها الأعمال الصالحة. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

المطلب التاسع: حلاوة الإيمان

بعد بيان طعم الإيمان، كان من المناسبة أن نذكر بعده مباشرة نفحة حلاوته، وحقيقة الأمر أن حلاوة الإيمان لا يجدها إلاّ مَنْ كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، كما جاء في الحديث النبوي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي– صلّى الله عليه وسلّم- قال : "ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار"[٢]. وفي رواية: "من أن يرجع يهوديًا أو نصرانيًا".

هذا حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام. ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمّل المشقّات في رضا الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم – وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبّة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبّة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم .

قال القاضي عياض – رحمه الله: "هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد – صلّى الله عليه وسلّم – رسولاً،

---

(١) سورة النحل الآية (٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، *الفتح* ١/٩١، ح٢١، ١/٦٨ في *الإيمان* : باب من كره أن يعود في الكفر، وفي باب، حلاوة الإيمان، ١/٦٠، ح ١٦. و*مسلم* ١/٦٦ في *الإيمان*، باب (١٥) بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان، ١/٦٦، ح ٦٧.

وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم – حقيقة، وحب الآدمي في الله ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم – وكراهة الرجوع إلى الكفر، إلاّ لمن قوي بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته، قال: والحب في الله من ثمرات حب الله، قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما كره" [١].

وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة، والصوت، والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين، والعلماء، وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي – صلّى الله عليه وسلّم– لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى. قال مالك وغيره: المحبّة في الله من واجبات الإسلام. هذا كلام القاضي– رحمه الله[٢] .

وفي صحيح البخاري: (كتاب الإيمان) روى البخاري حديث أنس المتقدم تحت عنوان (باب حلاوة الإيمان): "ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَف في النار".

---

[١] *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، ١/٢٧٨، ٢٧٩.

[٢] المصدر السابق ١/٢٧٩.

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله تعالى: قوله (باب حلاوة الإيمان) مقصود المصنف أن الحلاوة من ثمرات الإيمان. ولما قدم محبة الرسول من الإيمان[١] أردفه بما يوجد حلاوة ذلك. وفي قوله (حلاوة الإيمان) استعارة تخييلية[٢]، شبّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء. وإضافة إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض، والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما، نقص ذوقه بقدر ذلك، فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوى استدلال المصنف على الزيادة والنقص.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: "إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبّه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾[٣] فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها".

قوله (أحب إليه) منصوب لأنه خبر يكون، قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه، فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله، فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلاّ بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص

---

(١) مقصود الحافظ بن حجر أن البخاري عقد بابًا برقم (٨) بعنوان" باب محبة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- من الإيمان"، وأردف بباب بعده مباشرة بعنوان " باب حلاوة الإيمان" وهو رقم(٩). انظر *فتح الباري* ٧٤/١، ٧٦، ط دار الحديث، القاهرة.

(٢) هي ما كان المستعار له فيها غير محقق لا حسًا ولا عقلاً، بل هو صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقيق، نحو قول الهذلي: وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع. والحافظ قد شرحها. انظر: *علوم البلاغة* **للمراغي**، ص ٢٧٣. *المطول* **للتفتازاني**، ص ٦١٧ .

(٣) سورة إبراهيم الآية (٢٤).

آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تَمَرَّن على الائتمار بأمره، بحيث يصير هواه تبعًا له، ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك. وعبّر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة. قال: وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان، لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وألا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي يبيّن له مراد ربّه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه: فلا يحب إلاّ ما يحب، ولا يحب من يحب إلاّ من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينًا. ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنّة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار. انتهى ملخصًا. وشاهد الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾. إلى أن قال:﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله﴾ ثم هدد على ذلك وتوعّد بقوله: ﴿فتربّصوا﴾[1].

هذه هي حلاوة الإيمان لمن أراد من المؤمنين أن يلتذّ بها، ويسير على منهج الله وفق ما شرع، وعندئذٍ يجد حلاوة الإيمان، كما وصفها العلماء رحمهم الله تعالى.

وبالتأمل نجد أن طعم الإيمان، وحلاوته باعث على المحبّة المستقاة من الكتاب، والسنّة بكل أنواعها، ومن هنا ناسب أن أذكر مفهوم محبة الله، ومحبة رسوله، ومحبة المؤمنين.

المطلب العاشر: الإيمان والمحبة

أ – محبة الله

أصل المحبة: الميل إلى ما يوافق المحب، والمؤمن الذي تربى في كنف الله ورعايته وحفظه، وعنايته، لا يمكن أن يكون له محبوب يستكمل أنواع المحبة سوى الله، لأنه

---

[1] سورة التوبة الآية (٢٤)، *فتح الباري*، ١/٦٠، ٦١.

خلق الإنسان فسوّى خلقه، وقدره فهداه، وسخر له الكون فألهمه معرفة أسراره، ومكنوناته ، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة.

ومن هذا المنطلق كان الله تعالى أحب إلى المؤمن مما سواه، وتأتي بعد ذلك محبة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- كما مرّ معنا في الأحاديث الصحيحة التي قررت ذلك، وكما سيأتي، بل وكما قرر القرآن: ﴿والذين آمنوا أشدّ حبًّا لله﴾[١].

والمحبة تقتضي حب الذات الإلهية، وينشأ عن ذلك التعظيم، والتوقير، والمدح، والثناء، والعبادة الخالصة من شوائب الشرك[٢].

وحب المؤمنين لربهم يقترن به الرجاء، والثواب، والاعتراف المطلق بعظيم منزلته وسلطانه، والخوف من عقابه، وقد نطق القرآن بأن المؤمنين أشد حبًا لله[٣]. وأنه ﴿يحبهم ويحبونه﴾[٤].

وثبت في الحديث الصحيح أن أعرابيًا جاء إلى النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال النبي – صلّى الله عليه وسلّم: ما أعددت لها؟ فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، إلاّ أني أحبّ الله ورسوله. فقال – عليه الصلاة والسلام : "المرء مع مَنْ أحَبَّ "[٥]. فقال أنس بن مالك: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك.

ليس للخلق محبة أعظم، ولا أكمل، ولا أتم من محبة المؤمنين لربّهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلاّ الله تعالى، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه، فإن الرسول – عليه الصلاة والسلام- إنما يُحب لأجل الله، ويُطاع

---

[١] سورة البقرة الآية (١٦٥).

[٢] انظر *تفسير الفخر الرازي*، **الرازي**، ٢/٢٣٠.

[٣] المصدر السابق ٢/٢٢٧، ٢٣٠.

[٤] سورة المائدة الآية (٥٤).

[٥] أخرجه البخاري، *الفتح* ١٠/٤٦٢، ٤٦٣، ومسلم، ح ٢٦٤٠.

لأجل الله، ويُتَّبَع لأجل الله. كما قال تعالى:﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾(١)، وقال النبي – صلّى الله عليه وسلّم : "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين" (٢)، وفي حديث الترمذي وغيره: "من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان" (٣)، وقال تعالى:﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبّ الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾(٤)، فالذين آمنوا أشدّ حبًّا لله من كل محب لمحبوبه، ومن أهل الأنداد لأندادهم(٥) .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أو لا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم". :﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾(٦).

إن المؤمن كل همه الحصول على رضا الله، وكل تطلعاته إلى ما عند الله. وهو لا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن بالأساليب التي أقرّها الله، وارتضاها لعباده، وذلك من ثمرات الإيمان.

والإيمان بالله يقتضي حب الله كما يقتضي الخوف منه. فالخوف من لوازم الإيمان، وموجباته. وخوف الله يؤدي إلى البعد عن كل ما نهى الله عنه، وكل ما يغضبه. كذلك فإن الإيمان بالله يقتضي المحاسبة المستمرة السريعة للنفس، سواء على مستوى

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٣١).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب *الإيمان*، باب: حب الرسول صلّى الله عليه وسلّم من الإيمان، ج١، ص٥٨. ومسلم ٦٧/١ في كتاب *الإيمان*، باب: وجوب محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين. ج١، ص٦٧. **والنسائي** في كتاب *الإيمان*، باب: علامة الإيمان، ١١٤/٨، ١١٥. **وابن ماجه** ٢٦/١ في *المقدمة*، باب في الإيمان. **وأحمد** في *مسنده* ١٧٧/٣.

(٣) أخرجه أبو داوود ٢٢٠/٤، ح ٤٦٨١.

(٤) سورة البقرة الآية (١٦٥).

(٥) *تفسير السعدي*، ص٨٠.

(٦) أخرجه مسلم ٧٤/١، ح ٥٤.

الفكر أم النية أم السلوك. وهذا الإيمان هو الذي يجعل الإنسان مراقبًا لربّه في كل أحواله، محاسبًا نفسه على أفكاره، ونيّاته، وسلوكه. وإذا ما فعل فاحشة، أو عصى ربّه فإنه سرعان ما يتوب ويستغفر ربّه، طالبًا العفو والغفران[1]. ومن صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

إذا صدر من المؤمن أعمال سيئة أو ارتكب فاحشة تحت ضغط الشهوة وضعف الإيمان، فإنه يبادر إلى التوبة النصوح، والاستغفار، وذكر الله، ويسأله المغفرة لذنبه، والستر لعيوبه، مع إقلاعه عنها، وندمه عليها، ولهذا قال الله تعالى في آخر الآية: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .قال الإمام ابن كثير – رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة، والاستغفار.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال : "إنّ رجلاً أذنب ذنبًا فقال: رب إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي، فقال الله عزّ وجلّ: عبدي عمل ذنبًا فعلم أنّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى : علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال الله عزّ وجلّ: عبدي علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء" [3].

---

(1) *الإسلام ومواجهة الانحراف*، **السمالوطي**، ص٢٥٤.

(2) سورة آل عمران: الآية (١٣٥).

(3) *المسند* ٢/٢٩٦. *فتح الباري* ١٣/٤٧٤، *تفسير ابن كثير* ١/٤١٥ .

وروى أحمد عن أبي هريرة، قلنا يا رسول الله: إذا رأيناك رقّت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء، والأولاد، فقال: "لو أنتم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفّهم. ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم". قلنا يا رسول الله حدّثنا عن الجنّة ما بناؤها؟ قال : "لبنة ذهب ولبنة فضة. وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها لا ييأس، ويخلد، ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه. ثلاثة لا تُرد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تُحمَلُ على الغَمَام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول له الرب: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين"(١) .

ب- محبّة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)

محبّة الله والرسول – صلّى الله عليه وسلّم- مقدمة على حب الوالد، والولد وكل ما له صلة عزيزة على الإنسان كالمال، والزوجة، والعشيرة.

والمؤمن لا يجد حلاوة الإيمان حتى "يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"(٢) وتقتضي هذه المحبّة الطاعة المطلقة لله والرسول، والعمل بشرعة الله كاملة غير منقوصة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٣)، ﴿من يُطِع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٤) وهذه منزلة لا يرتقي إليها إلاّ الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصدّيقين، فإذا تحققت هذه المنزلة للمؤمن يكون قد لحق بأولئك الذين

---

(١) أخرجه **أحمد** في *المسند* ٨/١٣٧-١٣٨، ح٨٠٣٠. ت: أحمد شاكر. دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. ورواه الترمذي ٤/٢٨٨، وحسّنه وصحّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البخاري، *مختصر الزبيدي*، ص ٢٨، ح ١٦ .

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٠).

(٤) سورة النساء الآية (٨٠).

تصفهم هذه الآية. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [١].

والرسول – صلّى الله عليه وسلّم – يقول : " يُبعث المرء مع من أحب"[٢]. ومن هذا المنطلق فمحبة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- من الإيمان.

وقد عنون البخاري – رحمه الله – في صحيحه في كتاب الإيمان بابًا (٨) قال فيه: (باب حب الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- من الإيمان) وروى تحته حديثين عن أبي هريرة وأنس بن مالك – رضي الله عنهما- قال في الحديث الأول: عن أبي هريرة– رضي الله عنه – أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: " فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده" [٣].

وقال في الحديث الثاني: عن أنس عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم ، وحدثنا آدم قال: حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي– صلّى الله عليه وسلّم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٤].

قال الحافظ في الفتح[٥]: "وذكر الولد والوالد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال، بل ربما يكونان أعز من نفسه، ولهذا لم يذكر النفس أيضًا في حديث أبي هريرة، وهل تدخل الأم في لفظ الوالد إن أريد به من له الولد فيعم، أو يقال اكتفى بذكر أحدهما كما يكتفى عن أحد الضدين بالآخر، ويكون ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد الأعزة، كأنه قال: أحب إليه من أعزته، وذكر الناس بعد الوالد

---

(١) سورة النساء : الآية (٦٩).

(٢) رواه **الترمذي** في سننه ٥/٥٤٥، ح ٣٥٣٥، وقال حسن صحيح .

(٣) أخرجه البخاري *مختصر صحيح البخاري* **للزبيدي**، ص ٢٧، ح١٤، وأخرجه مسلم ٦٧/١، ح٧٠. وانظر *فتح الباري*، ٥٨/١.

(٤) *مختصر صحيح البخاري* **للزبيدي**، ص ٢٨، ح١٥. *صحيح مسلم* بشرح القاضي **عياض** ٢٨٠/١، ح٧، ط دار الوفاء.

(٥) ٧٥/١ .

والولد من عطف العام على الخاص وهو كثير، وقدم الوالد على الولد في رواية لتقدمه بالزمان والإجلال، وقدم الولد في أخرى لمزيد الشفقة، وهل تدخل النفس في عموم قوله والناس أجمعين؟ الظاهر دخوله. وقيل إضافة المحبة إليه تقتضي خروجه منهم وهو بعيد".

والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار، لا حب الطبع، قاله الخطابي[١]. وقال النووي[٢]: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمّارة والمطمئنة، فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي – صلّى الله عليه وسلّم- راجحًا، ومن رجح جانب الأمّارة كان حكمه العكس. وفي كلام القاضي عياض[٣]. أن ذلك شرط في صحة الإيمان، لأنه حمل المحبّة على معنى التعظيم والإجلال. وتعقبه صاحب المفهم[٤]. بأن ذلك ليس مرادًا هنا، لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته. قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه، وإلى هذا يومئ قول عمر الذي رواه البخاري في "الأيمان والنذور"[٥]. من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي – صلّى الله عليه وسلّم – " لأنت يا رسول الله أحبّ إليّ من كل شيء إلاّ من نفسي" فقال: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبّ إليك من نفسك" فقال عمر: "فإنك الآن والله أحبّ إليّ من نفسي"، فقال: "الآن يا عمر"[٦].

---

(١) *الفتح* ١/٧٥. ط دار الحديث، القاهرة .

(٢) شرح **النووي** على *صحيح مسلم* ٢/٣٧٣، ٣٧٤ .

(٣) *إكمال المعلم بفوائد مسلم* للقاضي **عياض**، ١/٢٨٠-٢٨١.

(٤) *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*: للإمام **القرطبي** ١/٢٢٥. وانظر، *شرح النووي* ٢/٣٧٢-٣٧٥.

(٥) *مختصر صحيح البخاري*: **للزبيدي**، ص ٤٨٩، ح ٢١٤٤؛ *فتح الباري* ١١/٥٩٤، ح ٦٦٣٢.

(٦) انظر *مختصر الزبيدي*، ص٤٨٩، **فتح الباري** ١١/٥٩٤.

وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإن الأحبّية المذكورة تُعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه، وإما غيرها. أما نفسه، فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات، هذا هو حقيقة المطلوب. وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً. فإذا تأمّل النفع الحاصل له من جهة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبّة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه. ولا شك أن حظ الصحابة– رضي الله عنهم – من هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم، والله الموفق"[١].

وقال القرطبي- رحمه الله :" كل من آمن بالنبي– صلّى الله عليه وسلّم- إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون. فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات، محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي– صلّى الله عليه وسلّم -اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله، وولده، وماله، ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد خبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه"[٢].

---

[١] *فتح الباري* ١/٦٠ .

[٢] *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، **للقرطبي** ١/٢٢٦، ٢٢٧ .

الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – له حقوق على أمّته، ومن هذه الحقوق: التوقير، والتعظيم، والمحبّة التي تفوق محبة الوالد، والولد، والناس أجمعين. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنَّة كما مرّ، وكما سيأتي.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

دلّت هذه الآية على وجوب محبّة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – ووضعت ميزانًا لهذه المحبّة تُقاس به، فليس المطلوب أن يحب المؤمن رسول الله كحبه لأبيه، وبنيه، وأهله، وماله، بل ينبغي أن ترجح كفة محبّة الله ورسوله على سائر ما يحب، فلا يكون في قلبه محبة لشيء تزيد على محبته للرسول – صلّى الله عليه وسلّم ، لأن الرسول سبب خروجه من ظلمات الجهالة والضلال، وسعادته بالعلم والهداية، وإنقاذه من ضنك الدنيا وعذاب الآخرة، فنعمة الإيمان الحاصلة بسببه أعظم من سائر النعم، وأكبر من كل الفوائد، فحق على من أدرك عظمة هذه النعمة أن يحب من أوصلها إليه، وقد أدرك الصحابة – رضوان الله عليهم- هذه المعاني، فتعلقوا برسول الله أشدّ التعلق، وأحبّوه أعظم الحب، وفدوه بالنفس، والأهل، والمال. قال صفوان بن عسّال المرادي[٢]: كنا مع النبي – صلّى الله عليه وسلّم- في سفر، فبينما نحن عنده، إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد. فأجابه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- نحوًا من صوته: هاؤم. وقلنا له: ويحك أغضض من صوتك فإنك عند النبي – صلّى الله عليه وسلّم – وقد نهيت عن هذا. فقال: والله لا أغضض، قال الأعرابي: المرء يحب القوم

---

[١] سورة التوبة الآية (٢٤).

[٢] هو صفوان بن عَسَّال – بمهملتين – المرادي، صحابي معروف، له اثنتا عشرة غزوة، نزل الكوفة، لم يذكروا له تاريخ وفاة. *الكاشف* **للذهبي** ٢/٢٧، *تهذيب التهذيب* **لابن حجر** ٤/٤٢٨. *التقريب* ص ٢٧٧.

ولما يلحق بهم. قال النبي– صلّى الله عليه وسلّم: "المرء مع من أحبَّ يوم القيامـــة "[١].

ففي هذا الحديث بيان فضل حب الله، ورسوله، والأخيار، والصالحين من المؤمنين[٢].

قال أنس – رضي الله عنه : " فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدّ من قول الـــنبي– صلّى الله عليه وسلّم : "فإنك مع من أحببت"[٣].

وقال القرطبي: "وإنما كان فرحهم بهذا القول عنه – صلّى الله عليه وسلّم – أشدّ من فرحهم بسائر أعمال البِر، أنهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي – صلّى الله عليه وسلّم – والكون معه إلا حبّ الله ورسوله" [٤].

وعلامة هذه المحبّة اتباع الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- وعدم التقـــدم عليـــه بالقول أو العمل، فلا يكون رأي الإنسان أحبّ إليه من حديث الرسول – صـــلّى الله عليه وسلّم- وحكمه، وعلامة حدود المحبّة، وبلوغها المرتبة الواجبة أن تكون نـــصرة السنّة، والذبّ عن الشريعة أحبّ لديه من رعاية مصالحه، والحفاظ على نفسه، وأهله، وماله، وجاهه[٥]، لقول النبي – صلّى الله عليه وسلّم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكـــون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[٦].

---

[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح (سنن ٥/٥٤٥، حديث رقم ٣٥٣٥)، وأخرجه البخـــاري في صـــحيحه ٧/١١٢-١١٣ شاهدًا مختصرًا من حديث ابن مسعود، ومسلم في صحيحه ٤/٢٠٣٤، حديث رقم ٢٦٤٠ شاهدًا مختصرًا أيضًا من حديث ابن مسعود.

[٢] *السيرة النبوية الصحيحة*، **أكرم ضياء العمري**، ٢/٦٣٩.

[٣] *صحيح مسلم* ٤/٢٠٣٢، ح ٢٦٣٩ .

[٤] *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم* ٦/٦٤٧.

[٥] *السيرة النبوية الصحيحة*،**أكرم العمري**، ٢/٦٤٠.

[٦] *صحيح البخاري* ١/٩، *وصحيح مسلم* ١/٦٧، حديث رقم ٧٠ واللفظ له.

وقوله: " ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "[١].

إنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قدوة المؤمنين، ورسول ربّ العالمين إلى الناس أجمعين، ولهذا فمحبته واجبة، والتأسّي به في أعماله مُتَعَيّن، وبعثته منّة الله على المؤمنين. ومما يستدعي محبّة الرسول التفكر في عظم رسالته، وجهاده في تبليغها طيلة حياته، حرصًا على هداية أكبر عدد من الناس، حتى إن الله تعالى امتنَّ على العباد ببعثته- صلّى الله عليه وسلّم – فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢].

وجاء في صحيح مسلم عن معاوية – رضي الله عنه – " أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا لدينه، ومنَّ علينا بك. فقال لهم: أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله- عزَّ وجلّ- يباهي بكم الملائكة "[٣].

وهذه المحبّة التي ربطت بين النبي – صلّى الله عليه وسلّم – والصحابة – رضي الله عنهم – حملتهم على افتدائه بأرواحهم، وأهليهم، وأموالهم، وكان لها أكبر الأثر في استقامتهم، وزيادة إيمانهم، وتضحياتهم. فهذا أنس بن النضر – رضي الله عنه - رأى بعض المسلمين قعودًا محتارين، بعد أن أشاع المشركون خبر مقتل رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في غزوة أحد، فصاح بهم: "واهًا لريح الجنّة أجده دون أُحُد "[٤]. فقاتل حتى

---

[١] *صحيح البخاري* ١/٩، *وصحيح مسلم* ١/٦٦، حديث رقم ٤٣.

[٢] سورة آل عمران الآية (١٦٤).

[٣] *صحيح مسلم*، ص ٢٠٧٥. *وسنن الترمذي*، حديث رقم ٣٣٧٩ واللفظ له.

[٤] *أخرجه* **البخاري**، *الفتح* ٦/٢١، **ومسلم** ٣/١٥١٢، ح ١٩٠٣. **والترمذي** ٥/٣٤٨، ٣٤٩، ح ٣٢٠٠.

قُتل، ووجد في جسده بضع وثمانون أثرًا من بين ضربة، ورمية، وطعنة، حتى ما عرفته أخته الربيع بنت النضر إلاّ ببنانه[١]، ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين هذه الآية : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾[٢].

وقد أرسل الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – زيد بن ثابت بعد المعركة يتفقد أنس بن النضر، فوجده بين القتلى وبه رَمَق، فما كان منه – بعد أن ردَّ على سلام الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – إلاّ أن قال: " أجدني أجد ريح الجنّة، وقل لقومي من الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وفيكم شُفْر[٣]يَطْرِف[٤] " وفاضت عيناه[٥] .

فيالها من وصية تفوح بالحب الذي لا يؤثر فيه الموت، وآلام الجراح. وكان أبو طلحة الأنصاري يحمي الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – ويرمي بين يديه ويقول: " لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك"[٦] . ورغم هذا الحب العميق لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ومفاداهم له بالنفس والنفيس، فإن عقائد المسلمين استقامت بفضل الله، فلم يتجاوزوا صفة النبوة، و لم ينسبوا إلى نبيهم صفات الألوهية، و لم يعبدوه من دون الله، بل كان صوته – صلى الله عليه وسلّم- يتردد في

---

[١] *فتح الباري* ٢١/٦، ٢٧٤/٧، ٥١٧/٨.

[٢] سورة الأحزاب الآية (٢٣) .

[٣] الشفْر: المراد بالشفر هنا شُفْر العين، وهو أصل منبت الشعر في الجفْن. وقال بعضهم: هو منابت الأهداب من الجفون، ومنه حديث : " وفيكم شُفْر يَطْرِف"، اللسان ٤١٨/٤، ٤١٩ .

[٤] الطَّرْف: المراد به طرف العين، والطرف إطباق الجفن على الجفن. يُقال: طَرَف يَطْرِف طَرْفًا، إذا لحظ وحرّك شُفْره ونظر. والطرف: تحريك الجفون في النظر. *اللسان* ٢١٣/٩.

[٥] **الهيثمي** *مجمع البحرين* ٢٣٩/٢، من رواية ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات.

[٦] *صحيح البخاري* (فتح الباري ٣٦١/٧).

عقولهم[١] " أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"[٢]، ومن قبله تذكير القرآن ببشرية الرسول – صلّى الله عليه وسلّم : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾ [٣]. وإنه يصيبه ما يصيب البشر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٤].

والخلاصة أن محبة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – من الإيمان، وآثار هذا الإيمان في سلوك الصحابة كان واضحًا، فهم أمّة آمنت بربّها فنفعها إيمانها، واقتدت برسولها فأثر ذلك في سلوكها، واستقامت على منهج الإسلام تلقيًا، وفهمًا، وتعلمًا، وعملاً، وذودًا عن حياض الإسلام وبيضته. وكان النبي – صلّى الله عليه وسلّم- حاضرًا في أعماق قلوبهم، وعقولهم، وأذهانهم، بأعماله، وأخلاقه، وسيرته.

ج- محبة المؤمنين بعضهم لبعض

المحبّة الإيمانية تمد حبالها إلى كل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة، ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[٥].

فالرسول – صلّى الله عليه وسلّم – حين قدم المدينة، قام بعمل الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وبين المؤمنين بعضهم من بعض، حيث شعر الجميع بالمودة والمحبّة والأخوة الإيمانية التي تؤلف بين قلوبهم، وتجمع كلمتهم، وتوحد صفوفهم، وتجعلهم أمّة واحدة من دون الناس. قال تعالى : ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾ [٦].

---

[١] *السيرة النبوية الصحيحة*، **أكرم العمري**، ص ص: ٦٤١- ٦٤٢.

[٢] *سنن ابن ماجه* ٢/٢٣٢ .

[٣] سورة الكهف الآية (١١٠).

[٤] سورة آل عمران الآية (١٤٤).

[٥] سورة التوبة الآية (٧١).

[٦] سورة الحجرات الآية (١٠).

فالإخاء الإسلامي يولد المحبّة في الله ولله، دون أن تكون مرتبطة بالمصالح والمنافع الدنيوية، وتبادلها بين الذين يبتغونها.

وحين تتحقق المحبّة بين المؤمنين بكل صورها وأهدافها الإيمانية، تصبح الأمّة متضامنة، متكاتفة، متعاونة، "كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[١].

وهذا خير ضامن ضد الانحراف، أو السلوك الإجرامي في كل صوره وأشكاله. وقال – عليه الصلاة والسلام- من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه : "لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا. أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[٢].

ومعنى لا تؤمنوا هنا عدم اكتمال إيمانكم، وعدم صلاح حالكم إلاّ بالتحابّ. ومعنى إفشاء السلام، إشاعة الأمان، وبذله لكل المسلمين، من عرفت ومن لم تعرف. والإيمان يقتضي بذل النصيحة لكل المسلمين. والتناصح معناه حرص الناس بعضهم على بعض، وهو دعم للاستقامة وحرب على الانحراف[٣]، وهذا ما حصل في عهد الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – وعهد الصحابة، حيث اعتبر النبي – صلّى الله عليه وسلّم – (علامة الإيمان حُبّ الأنصار) وهذا عنوان باب في صحيح البخاري – رحمه الله تعالى. قال: حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن عبد

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الأدب، *الفتح* ١٠/٤٩٤، ٤٩٥، ح ٦٠١١. ومسلم ٤/١٩٩٩ح٢٥٨٦.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٧٤، ح ٥٤.

(٣) *الإسلام ومواجهة الجريمة*، **السمالوطي**، ص ٢٧٠.

الله بن جبر، قال: سمعت أنسًا عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال: " آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار" [١].

وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد – رضي الله عنهما: "لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر"[٢]، وأخرج عن أنس – رضي الله عنه: (حب الأنصار من الإيمان وبغضهم آية نفاق) [٣]. ويحتمل أن يُقال إن اللفظ خرج على معنى التحذير، فلا يراد ظاهره، ومن ثم لم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده، بل قابله بالنفاق إشارة إلى أن الترغيب، والترهيب إنما خوطب به من يظهر الإيمان، أما من يظهر الكفر فلا، لأنه مرتكب ما هو أشد من ذلك. قوله (الأنصار) هو جمع ناصر كأصحاب وصاحب، أو جمع نصير كأشراف وشريف، واللام للعهد أي أنصار رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم، والمراد الأوس والخزرج، وكانوا قبل ذلك يُعرفون ببني قَيْلة[٤] بقاف مفتوحة وياء تحتانية ساكنة، وهي الأم التي تجمع القبيلتين، فسمّاهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – "الأنصار" فصار ذلك علمًا عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي – صلّى الله عليه وسلّم – ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم، وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض. ثم كان ما اختصوا مما ذكر موجبًا لحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء

---

(١) أخرجه **البخاري** في *الإيمان*، باب علامة الإيمان حب الأنصار، *مختصر صحيح البخاري* **للزبيدي** ص٢٨، ح١٧. ومسلم ح ١٢٨.

(٢) أخرجه **مسلم** في *الإيمان* ١/٨٦، ح ١٣٠ .

(٣) أخرجه مسلم ١/٨٥ .

(٤) قَيْلة : أم الأوس والخزرج، وحديث سلمان : " أبني قيلة " يريد الأوس والخزرج قبيلتي الأنصار، وقيْلة اسم أم لهم قديمة، وهي : قيْلة بنت كاهل، *اللسان* ١١/٥٨٠ . مادة (قيل).

التحذير من بغضهم، والترغيب في حبّهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكور كل بقسطه. وقد ثبت في صحيح مسلم عن علي أن النبي –صلّى الله عليه وسلّم– قال له: "لا يحبك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق" [(١)]، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة، لتحقيق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء في الدين. قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم، فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضته المخالفة، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذاك حال المجتهدين في الأحكام: للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد. والله أعلم[(٢)] .

ومن الإيمان أن يحب المرء المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه. عن أنس عن النبي– صلّى الله عليه وسلّم– قال:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[(٣)].

قال الحافظ بن حجر–رحمه الله[(٤)]: قوله (باب الإيمان) قال الكرماني: قدم لفظ الإيمان بخلاف أخواته حيث قال: (إطعام الطعام من الإيمان)، إما للاهتمام بذكره، أو للحصر، كأنه قال: المحبة المذكورة ليست إلاّ من الإيمان. قلت: وهو توجيه حسن، إلاّ أنه يرد عليه أن الذي بعده أليق بالاهتمام والحصر معًا، وهو قوله (باب حب الرسول من الإيمان)، فالظاهر أنه أراد التنويع في العبارة. ويمكن أنه اهتم بذكر حب الرسول فقدمه، والله أعلم" .

---

(١) أخرجه **مسلم** في *الإيمان* ١/٨٦، ح ١٣١ .

(٢) *فتح الباري* ١/٦٣ .

(٣) أخرجه **مسلم** في *الإيمان* ١/٦٧، ح ٧١ .

(٤) *الفتح* ١/٥٧.

وقال الحافظ بن حجر- رحمه الله [١]: قوله "لا يؤمن أحدكم" أي: من يدّعي الإيمان، والمراد بالنفي كمال الإيمان، ونفي اسم الشيء – على معنى نفي الكمال عنه– مستفيض في كلامهم كقولهم: فلان ليس بإنسان. فإن قيل: فيلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمنًا كاملاً وإن لم يأت ببقية الأركان، أجيب بأن هذا ورد مورد المبالغة، أو يستفاد من قوله "لأخيه المسلم"، ملاحظة بقية صفات المسلم. وقد صرّح ابن حبّان[٢] من رواية ابن أبي عدي عن حسين المعلم بالمراد ولفظه "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان" [٣] ومعنى الحقيقة هنا الكمال، ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا، وبهذا يتم استدلال المصنف على أنه يتفاوت، وأن هذه الخصلة من شعب الإيمان، وهي داخلة في التواضع.

وقال: قوله "حتى يحبَّ" بالنصب لأن حتى جارة وأن بعدها مضمرة، ولا يجوز الرفع فتكون حتى عاطفة فلا يصح المعنى، إذ عدم الإيمان ليس سببًا للمحبة. قوله "ما يحب لنفسه" أي من الخير. و"الخير" كلمة جامعة تعم الطاعات، والمباحات الدنيوية، والأخروية، وتخرج المنهيات لأن اسم الخبر لا يتناولها. والمحبة إرادة ما يعتقده خيرًا. قال النووي–رحمه الله[٤]: "المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصًا. والمراد بالميل هنا الاختياري دون الطبيعي والقسري، والمراد أيضًا

---

(١) *الفتح* ٥٧/١.

(٢) هو **محمد بن حبان، أبو حاتم البستي**، الحافظ، صاحب الأنواع المعروف *بصحيح ابن حبان*. *لسان الميزان* **لابن حجر** ١١٢/٥-١١٥.

(٣) *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان* ٢٢٩/١ .

(٤) *في شرح صحيح مسلم* ٣٧٣/٢.

أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه، سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية"[١].

إن الإيمان سر فلاح المؤمن، يطوع صاحبه على سلوك الطريق المستقيم، والابتعاد عن سبيل الغواية. وهناك سورة في القرآن اسمها (المؤمنون) في مستهلها أوصاف المؤمنين الصادقين. يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾[٢].

من هذه الآيات البيّنات يتضح أن المؤمن ينشد الفلاح، والاستقامة، وحب الخير، ورضا الرب سبحانه وتعالى، ولا يتأتى هذا إلاّ بالنيّة، والعزيمة والإخلاص، والصدق، والصبر، والثبات، والتوكل على الله، والعمل الجاد المثمر. إذ المؤمن طاهر القلب، طاهر النفس، طاهر السريرة، طاهر المال، طاهر اليد، لأنه يتزكى بالأعمال الصالحة، ويحارب وسوسة الشيطان، ويقاوم هوى النفس، ولا يجزع، ولا يتطلّع إلى ما عند النّاس.

قال الإمام النووي- رحمه الله [٣]: قوله – صلّى الله عليه وسلّم – "لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أو لا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم". وفي الرواية الأخرى: " والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى

---

[١] *فتح الباري* ١/٥٨ .

[٢] سورة المؤمنون الآيات (١-١١).

[٣] شرح **النووي** على *صحيح مسلم* ٢/٣٩٥ .

تؤمنوا". هكذا هو في جميع الأصول والروايات، ولا تؤمنوا بحذف النون من آخره وهي لغة معروفة صحيحة. وأما معنى الحديث، فقوله – صلّى الله عليه وسلّم : ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، معناه: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلاّ بالتحاب. وأما قوله – صلّى الله عليه وسلّم : لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا، فهو على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنّة إلاّ من مات مؤمنًا، وإن لم يكن كامل الإيمان، فهذا هو الظاهر من الحديث.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح – رحمه الله :" معنى الحديث: لا يكمل إيمانكم إلاّ بالتحاب، ولا تدخلون الجنّة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك"[1]. وهذا الذي قاله محتمل، والله أعلم.

وأما قوله : "أفشوا السلام بينكم"، فهو بقطع الهمزة المفتوحة، وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف ، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودّة، وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميّز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين[2].

وعن أنس عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال:"والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه"[3]. قال النووي[4]: في البخاري وغيره: " لأخيه" من غير شك، قال العلماء – رحمهم الله – معناه: لا يؤمن الإيمان

---

[1] انظر: *صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط*: **لابن الصلاح**، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ص ص: ٢١٩-٢٢٠.

[2] *صحيح مسلم* بشرح **النووي**، ٣٧٦/٢ .

[3] أخرجه مسلم ٦٨/١، حديث الباب ٧٢.

[4] شرح صحيح مسلم ٦٨/١، حديث الباب ٧٢ .

التام، وإلاّ فأصل الإيمان يحصل لمن يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات".

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح[١]: "وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك، إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين" والله أعلم[٢].

هذه هي المحبة بأنواعها الثلاثة: محبة الله (سبحانه وتعالى)، محبة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – ومحبة المؤمنين بعضهم لبعض. إنها أسس الحياة في هذا الوجود، وأعمدة الحب بين الناس في المجتمع المسلم، وروابط المودة والعِشرة بين الأهل والأحبة. ولا حياة حقيقية لأسرة، أو مجتمع، أو أمّة، أو دولة بدون محبة تربطهم وتؤلف بينهم.

هذه المحبة بأنواعها تولد الخشية من الله – عزّ وجلّ – وإذا اتصف المؤمن بالخشية في السر والعلن فاز وأفلح، وكان من الخاشعين، والصابرين، والصديقين، والقانتين، والمتقين، والمستغفرين بالأسحار، وذلك كله ثمرة الإيمان وآثاره في النفس الإنسانية، حين تنشد رضوان الله وتقواه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)﴾[٤].

---

[١] *صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط*، **لأبي عمرو بن الصلاح**، مرجع سابق، ص٢٠٤.

[٢] انظر: *صحيح مسلم* بشرح **النووي** ٣٧٦/٢.

[٣] سورة النور الآية (٥٢).

[٤] سورة المؤمنون الآيات (١-٢).

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)﴾[1].

ومن هذا المنطلق فإن من المناسبة أن نتكلم عن الإيمان بالله والخشية منه، وهذا ما سنتحدث عنه في الفقرة التالية وهي: (الإيمان والخشية).

المطلب الحادي عشر: الإيمان والخشية

الخشية خلاصة الإيمان، ولذلك فتأثيرها عظيم في استقامة المؤمن على الطريق المستقيم، وبخاصة العلماء، قال تعالى: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[2].

إن الإيمان الصحيح الناشئ عن اعتقاد نقي سليم راسخ في القلب، يولد طاقة كبيرة من خشية الله لدى المؤمن، بحيث تكون مصحوبة بالمراقبة الشديدة، وحسن الظن بالله، والتوكل والاعتماد عليه في كل الأحوال، وفي كل شؤون الإنسان. عندئذٍ يجد الإنسان حلاوة الإيمان، ويجد لذة الشعور بالرهبة من الله، ويجد ينابيع الهداية والعناية، والرعاية، والرحمات الإلهية قد أحاطت به من كل جانب، وضربت له سياجًا من الإيمان الذي بلغ منتهاه. وهنا يُحاط الإنسان بالحماية الإلهية، والمنعة الربّانية، فيبقى محصورًا في ظل طاعة الله، والتسليم له بالانقياد، والذل، والخضوع، و لم يعد لدى الإنسان إمكانية التمرد على الإله المعبود، والرب المحبوب، لأنه بلغ مرتبة الإحسان. وتلك هي الاستقامة الناشئة عن خشية الله: ﴿قل آمنت بالله ثم استقم﴾. هكذا يخاطب الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – أحد الصحابة.

---

[1] سورة آل عمران الآيات (١٥-١٧).

[2] سورة فاطر الآية (٢٨).

وحين تستقر هذه الخشية في قلب المؤمن، يكون قد اتصف بالخشوع لله، لأن الخشية من آثارها الخشوع والقنوت. ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعًا متصدّعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ [(١)].

الخشية من الله هي من أعظم آثار الإيمان، وأبرز أوصاف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾[(٢)]. ﴿الَّذِينَ يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلاّ الله﴾[(٣)]، وقدوتهم في ذلك النبي – صلّى الله عليه وسلّم– حيث يقول : "إني أخشاكم لله وأتقاكم له" [(٤)]، (والخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة) [(٥)]، وعندما تعمر الخشية والخوف قلب المؤمن يتميز عن الغافلين والعابثين؛ لأن الخوف يحول بين صاحبه وبين محارم الله، وفِقْهُ ذلك أَنْطق إبراهيم بن سفيان بالحكمة فقال: " إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها" [(٦)]، وقال الفضيل بن عياض[(٧)]: " من خاف الله لم يضرّه أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد"[(٨)]. وهذه الخشية دافعة للطاعة " وما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله"[(٩)]. والمؤمن له رتبة عليا من الإيمان " تجعل الخشية لله أسرع إلى فؤاده

---

(١) سورة الحشر الآية (٢١).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٤٩).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في *كتاب النكاح*، رقم ٦٧، باب الترغيب في النكاح (*الفتح*، ٩/١٠٤).

(٥) *تهذيب مدارج السالكين*، ص ٢٦٩.

(٦) *تهذيب مدارج السالكين*، ص ٢٧٠.

(٧) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، توفي بمكّة سنة ١٨٧هـ. *سير الأعلام النبلاء* ٨/٤٢١ وما بعدها، *صفوة الصفوة* ٢/١٣٤، *حلية الأولياء* ٨/٨٤.

(٨) *نزهة الفضلاء* (٢/٦٦١).

(٩) *نزهة الفضلاء* (١/٥١٣).

من أي رهبة تخامر نفسه أمام ذي سلطان "[١]. فالمؤمنون يجمعون بين الإحسان والخوف، والخشية في الغيبة[٢].

والخشية أساس مراقبة الله التي ترقى بالمؤمن إلى درجة الإحسان، وأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، واستحضار المراقبة يوجد ملكة الضمير التي تضبط السلوك بعيدًا عن الرقباء، وتجتنب المخالفة بوازع الإيمان، فاللسان يعف عن الباطل، والأيدي تكف عن الحرام، والأعين تغض عن العورات، وكل ذلك دون حاجة إلى رقيب أو حسيب، والأمثلة على ذلك كثيرة وشهيرة) [٣].

وعلى قدر حب العبد لله، والخشية منه، يكون حجم الطاعة له سبحانه، والبعد عن كل أشكال الانحراف، لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهذا هو خير واقٍ ضد الانحراف[٤] والسلوك الإجرامي.

وفي سورة البيّنة يصف الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بأنهم (خير البرية) ووعدهم بالجزاء، فقال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٥]. ذلك الجزاء كله، هو لمن يخشى الله تعالى في هذه الحياة. بحيث يخشاه خشية يخشع لها القلب، ويلين لها الجلد وتستسلم لها الجوارح، ويسلم العبد نفسه لله الذي خلقه، ويعبده حق عبادته.

---

[١] *مع الله*، ص ١٩٠.

[٢] *تفسير السعدي*، ص ٥٢٥.

[٣] *مقومات الداعية الناجح*، **علي بن عمر بادحدح**، ص ص : ٥٤ - ٥٥.

[٤] *الإسلام ومواجهة الجريمة*، **نبيل السمالوطي**، ص٢٥١.

[٥] سورة البيّنة الآية (٨).

المطلب الثاني عشر: الإيمان وأثره في صلاح القلب

القلب في اللغة

هو الفؤاد والعقل ومحض كل شيء[١]. واسمه مشتق من قلب الشيء أي حوّله عن وجهه، وسمي بذلك لأنه متقلّب الأحـــوال، يتغير من حـــزن إلى فرح، وانقباض وانبساط، ومنها قوله سبحانه وتعالى :﴿يخافون يومًا تتقلّبُ فيه القلوب والأبصار﴾[٢].

والقلب مركز العواطف والأحاسيس، لذلك خاطب القرآن الكريم العقل بالمنطق، والقلب بالعاطفة، فجاءت معظم الآيات التي تعدد نعم الله وآياته، وفيها كلمات تدل على العقل (أفلا يعقلون، عقلوه، نعقل، يعقلها) أما الآيات التي ذكـــر فيهـــا القلـــب ومشتقات الاسم ففيها (قلوب، قلوبكما، قلوبنا، قلوبهم، قلوبهن) فهي تتحدث عـــن الإيمان، والطمأنينة، والسكينة، والخشوع، والرهبة، والقـــسوة، واللـــين، والوجـــل.. وهكذا.

والشعراء والأدباء ينسبون إلى القلب الحب، والكره، والغضب، والرضاء، وكـــل تلك المشاعر الإنسانية، ولو كان هذا وقفًا على شعراء وأدباء العالم الإسلامي لقلنا أنهم تأثروا بالقرآن الكريم والهدي النبوي، غير أن الملاحظ أن كل شعراء وأدباء العالم بأي لغة، وأي دين، أو مذهب، عزوا إلى القلب كل الانفعالات، والأحاسيس، والمشاعر.. فما هو السبب؟ وهل المقصود بالقلب تلك المضخة العضلية بحجم القبضة في التجويف الصدري؟ الله أعلم [٣].

---

[١] انظر *لسان العرب* **لابن منظور**، ١/٦٨٧، مادة (قلب).

[٢] سورة النور الآية (٣٧).

[٣] *المراهقون*، **سمير جميل أحمد الراضي**، ص١٣٤.

وقد حاول البعض تبرير ذلك بالقول إن القلب سريع التأثر بالتغييرات العاطفية والانفعالات الإنسانية، وهو يؤثر بدوره على باقي الأعضاء، فالوجه يصفر من الخوف، ويحمر من الغضب أو الخجل، والأطراف تبرد، والرأس يُصاب بالدوار أو الصداع، والحلق يجف، واللسان يتلعثم، وتُصاب الأذنان بالصمم المؤقت. كل ذلك بسبب تلاعب القلب بعدد دقّاته، وكمية الدم التي يضخّها إلى أجزاء الجسم إذا ما اضطرب نتيجة للانفعالات والأحاسيس[1].

ويذكر الباحث القدير سمير جميل الراضي، أن القرآن الكريم قسّم القلوب إلى قلوب مهتدية، وقلوب ضالّة، واستعرض أنواع تلك القلوب فقال:

أولاً: القلوب المهتدية

١- القلب السليم أو المنيب: هو الخالي من الشرك، السالم من البدعة، المطمئن إلى السنّة، العائد إلى الله.

٢- القلب المطمئن: الذي يطيب ويركن إلى قضاء الله، ويسكن عند ذكره، يرضى به مولى ولا مولى سواه.

٣- القلب الوجل: الخائف الفزِع، وهذه صفة المؤمن الحق، الذي إذا ذُكِرَ الله وَجِلَ وامتلأ قلبه خوفًا منه، فترك المعاصي ابتغاء رضاه، ومخافة غضبه، وفعل الأوامر لاكتساب القرب من الله.

٤- القلب الخاشع: الذي يلين لذكر الله، والوعظ، وسماع القرآن، فيفهمه وينقاد إليه، ويصدقه فيطبقه.

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٤.

ثانيًا: القلوب الضالّة

١- القلب المختوم، أو المطبوع، أو المقفل، أو الأغلف: وهو الذي لا يخلص إليه شيء من معاني الهدى من كثرة المعاصي، فهو معاثر مكابر لا يسمع موعظة، ولا يقنع بمعجزة.

٢- القلب الغليظ أو القاسي: وهو الذي لا يلين أبدًا لذكر الله، ولا يرق ولا يخشع.

٣- القلب المريض أو المرتاب: هو الشاك المنافق.

٤- القلب الزائغ: الخارج عن الحق، المنحرف عنه، المائل إلى الباطل والضلال.

٥- القلب الغافل أو اللاهي: المنشغل بأمور الدنيا عن الآخرة، واللذات والشهوات عن العبادة.

٦- القلب الآثم: الفاجر الذي لا يفكر إلاّ في الإثم وارتكاب الجريمة[١].اهـ.

وبذلك ندرك أن القلب المفعم بالإيمان، والنور، والهداية، يمنع صاحبه من الوقوع في الجريمة وغشيان المعاصي.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم– قال: (أتاكم أهل اليمن، هم أرقّ أفئدة، وألْيَن قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية) [٢]. فوصف القلوب بالرقة، والأفئدة باللين، وكأن القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا : أصبت حبّة قلبه، وسويداء قلبه[٣].

ومن هذا نعلم أن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، تؤثر في القلب أثرًا بالغًا ونورًا وبياضًا، وأن الذنوب، والمعاصي، وأخلاق السوء تؤثر فيه تأثيرًا عظيمًا، ظلمة وسوادًا، حتى يصدأ. ولذلك جاء في الحديث، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: (إن المؤمن إذا أذنب كانت له نكتة سوداء في

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٥.

(٢) أخرجه **البخاري** في *المغازي*، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن. *الفتح* ٩٨/٨. وأخرجه **مسلم** ٧٣/١، ح٨٩، في *الإيمان* (٥١/١) باب: تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه.

(٣) *اللسان* ٨٦٧/١. مادة (قلب).

قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه، ذاك الرَّيْن[١]، الذي ذكره الله – عزَّ وجلَّ – في القرآن:﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[٢].

وقد وُصفت القلوب في الحديث النبوي بأوصاف كثيرة، ومنها القلوب أربعة: قلب أجرد منير مثل السراج، يزهر وهو قلب المؤمن، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وهو قلب الكافر، وقلب منكوس وهو قلب المنافق، وقلب مصفح، وفيه إيمان ونفاق[٣].

إذًا القلب هو الأساس في صلاح الإنسان، واستقامة سلوكه، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) [٤].

قال الحافظ بن حجر في الفتح[٥]: قوله (مضغة) أي قدر ما يمضغ، وعبر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية، وسمي القلب قلبًا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبًا.

وقوله (إذا صلحت) و (إذا فسدت) هو بفتح عينهما، وتضم في المضارع، وحكى الفراء الضم في ماضي صلح، وهو يضم وفاقًا إذا صار له الصلاح هيئة لازمة لشرف ونحوه. والتعبير بإذا لتحقيق الوقوع غالبًا، وقد تأتي بمعنى إنْ كما هنا. وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير، تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفيه تنبيه على

---

(١) الرَّيْن والرّان بمعنى واحد، وأصله: الطبع والتغطية والختم، والرين الصدأ الذي يعلو السيف. *اللسان*١٣/١٩٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٩٧. وابن ماجه ٢/١٤١٨، ح ٤٢٤٤. والآية في سورة المطففين رقم (١٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٧، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (٣٩/٢)، باب فضل من استبرأ لدينه، ح٥٢. الفتح ١/١٢٦. وأخرجه مسلم ٣/١٢١٩، ١٢٢٠، ح١٥٩٩، في كتاب المساقاة (٢٠/٢٢) باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٥) ١/١٢٨، ١٢٩.

تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثـرًا فيه، والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركبه الله فيه، ويستدل به على أن العقل في القلب، ومنه قوله تعالى :﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾[١]. وقوله تعالى :﴿إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[٢]. قال المفسرون[٣] : أي عقل، وعبر عنه بالقلب، لأنه محل استقراره.

وفي الحديث الصحيح: إن هرقل ملك الروم، سأل أبا سفيان بن حرب، فيما سأله عنه من أمور النبي- صلّى الله عليه وسلّم – قال: (وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنه يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب). هذا لفظ البخاري. وفي لفظ مسلم : (وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب)[٤].

قال الحافظ بن حجر: قوله: (وكذلك الإيمان) أي أمر الإيمان، لأنه يظهر نورًا، ثم لا يزال في زيادة، حتى يتم بالأمور المعتبرة فيه، من صلاة، وزكاة، وصيام وغيرها. ولهذا نزلت في آخر سني النبي – صلّى الله عليه وسلّم : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[٥].

---

(١) سورة الحج الآية (٤٦).

(٢) سورة (ق) الآية (٣٧).

(٣) قال **ابن عاشور** في *التحرير* ١٢/٣٢٤: (والقلب: العقل، وإدراك الأشياء على ما هي عليه)

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوحي، ح٦. *الفتح* ١/٣١ – ٣٣. وأخرجه مسلم ٣/١٣٩٣- ١٣٩٧، ح ١٧٧٣، في كتاب الجهاد (٣٢/٢٦) باب كتاب النبي – صلّى الله عليه وسلّم – إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. وأخرجه أحمد في المسند ١/٢٦٢. قال الحافظ في الفتح (١/٣٦، ٣٧): قوله (حين يخالط بشاشة القلوب) كذا روي بالنصب على المفعولين، والقلوب مضاف إليه. أي يخالط الإيمان انشراح الصدور، وروي بشاشة القلوب) بالضم والقلوب مفعول، أي يخالط بشاشة الإيمان ، وهو شرحه القلوب التي يدخل فيها).

(٥) سورة المائدة الآية (٣).

ومنه: ﴿ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[١].

وكذلك جرى لأتباع النبي – صلّى الله عليه وسلّم – "لم يزالوا في زيادة، حتى كمل بهم ما أراد الله من إظهار دينه، وتمام نعمته، فله الحمد والمِنَّة"[٢] .

فالإيمان إذا باشر القلب، وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب، بل يحبه ويرضاه، فإن له من الحلاوة في القلب، واللذة، والسرور، والبهجة، ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه، والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه.

قال تعالى:﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾[٣].

وقال تعالى:﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾[٤].

وقال تعالى:﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانًا وهم يستبشرون﴾ [٥]. فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن، والاستبشار هو الفرح والسرور؛ وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله.

و(اللذة) أبدًا تتبع المحبة، فمن أحب شيئًا، ونال ما أحبه، وجد اللذة به، فالذوق هو إدراك المحبوب، اللذة الظاهرة كالأكل مثلاً: حال الإنسان فيها أنه يشتهي الطعام، ويحبه، ثم يذوقه ويتناوله، فيجد حينئذٍ لذّته وحلاوته، وكذلك النكاح وأمثال ذلك[٦].

---

[١] سورة التوبة الآية (٣٢).

[٢] *الفتح* ٣٦/١.

[٣] سورة يونس الآية (٥٨).

[٤] سورة الرعد الآية (٣٦).

[٥] سورة التوبة الآية (١٢٤).

[٦] *الزهد والورع والعبادة*، **لابن تيمية**، ت: حماد سلامة، ص٨٠.

إنّ القلب إذا صلح بالإيمان[١]، صلح الجسد بالإسلام، وهو من الإيمان، يدل على ذلك قوله – صلّى الله عليه وسلّم : "هذا جبريل جاءكم يعلّمكم دينكم"[٢].

فجعل الدين هو الإسلام، والإيمان، والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [٣].

والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه[٤].

وبهذا ندرك أن الإيمان له علاقة وثيقة بالقلب وصلاحه، وبالخشية والخشوع. نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا ويثبّتنا على الحق والإيمان، وأن يثبّت قلوبنا على طاعته.

المطلب الثالث عشر: الإيمان يعصم المؤمنين عن المحرّمات

الإيمان شاهد على النفس الإنسانية، يحرسها من الفتن، ويقيها من الزلل، ويعصمها عن المحرمات، ويصلحها من الخلل، بعد أن يكون الإنسان صالحًا في نفسه، خائفًا وجِلاً: ﴿قلوب يومئذٍ واجفة﴾[٥].

فالقلوب الخائفة المضطربة من عقاب الله تمهد الطريق لصاحبها، لكي يسير وفق منهج الله في الدنيا. وبذلك يكون قد فاز بالسعادة الدنيوية، وظفر بما يؤمله مما وعده ربّه في الدار الآخرة. ومن هذا المفهوم ينطلق الإنسان نحو الخير وعمل الصالحات،

---

(١) لأن القلب هو مستقر الإيمان، والإيمان هو اعتراف داخلي إرادي بفكرة من الأفكار، وتسليم بها، واستمساك بما اشتملت عليه وتوجيه للعواطف الملائمة لها في اتجاهها. انظر *الأخلاق الإسلامية*، **عبدالرحمن الميداني** ١/٢٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ١/٣٦-٣٨، ح١، في الإيمان، الباب الأول. وأبو داوود ٤/٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) سورة فاطر الآية (٣٢) .

(٤) انظر *فتاوى ابن تيمية* ٧/١٠. *الإيمان* **لابن تيميه** ص٦ .

(٥) سورة النازعات الآية (٨).

والتقرّب إلى الله، ويعتصم بحبل الله المتين، مما يجعل رصيد إيمانه يزيد ويسمو، حتى يكون قوة عاصمة تعصمه عن الدنايا، وطاقة دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله تبارك وتعالى عندما يدعو عباده إلى خير، أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، وما أكثر ما يقول في كتابه:﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، ثم يذكر —بعد— ما يُكلّفهم به: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[(١)].

وقد أوضح صاحب الرسالة أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتمًا، وأن انهيار الأخلاق مردّه إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته.

فالرجل الصفيق الوجه، المعوج السلوك، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، يقول رسول الإسلام في وصف حاله: "الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلاّ جميعًا"[(٢)]. والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكمًا قاسيًا[(٣)]، فيقول فيه الرسول – صلّى الله عليه وسلّم : "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه!!" [(٤)].

فإذا نَمَت الرذائل في النفس، وفشا ضررها، وتفاقم خطرها، انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زورًا، فما قيمة دين بلا خلق؟ وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟

---

(١) سورة التوبة الآية (١١٩).

(٢) ذكره **الهيثمي** في *مجمع الزوائد* ٩٢/١، رواية عن أبي موسى، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وقال: تفرد به محمد بن عبيدة القرشي) انتهى.

(٣) *خلق المسلم*، **محمد الغزالي**، ص(١٠). *الندوة العلمية* ١٦٤/١..

(٤) رواه البخاري، ٤٩٩/١٠، ح٦٠١٦، واللفظ له. ومسلم ٦٨/١، ح ٧٣- (٤٦). وانظر *صحيح الجامع* **للألباني** ٣٤٧/٥ .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ يفسرها حديث أخرجه أحمد عن أبي رفاعة الزرقي عن أبيه قال: لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال النبي – صلّى الله عليه وسلّم : "استوُوا حتى أثْني على ربّي، فصاروا خلفه صفوفًا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابِضَ لما بَسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم أبسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيْلَة،

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) سورة الحجرات الآية (١).

(٣) سورة الحجرات الآيات (٦، ٧).

والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر، والفسوق، والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجْزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق" [١].

هذا الحديث يؤكد أن المسلمين أمّة واحدة، وكيان واحد، تربطهم الأخوة الإيمانية كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [٢]. وفي الوقت نفسه فإن الإيمان هو الذي يعصمهم عن المحرمات، وهو الذي يمنحهم الكرامة الإنسانية بين الأمم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣].

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس. وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها واحدة، كرامتها واحدة. والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب (يا أيها الذين آمنوا)، وينهاهم أن يسخر قوم بقوم، أي رجال برجال، فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء، فلعلهن خير منهم في ميزان الله[٤].

---

[١] أخرجه **أحمد** في *المسند* ٣/٤٢٤. والنسائي في *اليوم والليلة*، *والسنن الكبرى* ٦/١٥٦ .

[٢] سورة الحجرات الآية (١٠).

[٣] سورة الحجرات الآية (٣).

[٤] في ظلال القرآن ٦/٣٣٤٤ .

وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم، ويراها النساء في أنفسهن، ليس هي القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس. فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير. والرجل القوي من الرجل الضعيف، والرجل السوي من الرجل المعاق. وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخام. وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم. وذو العصبية من اليتيم. وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشابة من العجوز، والمعتدلة من المشوهة، والغنية من الفقيرة.. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!

ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها: (ولا تلمزوا أنفسكم).. واللمز: العيب. ولكن للفظة جرسًا وظلاً، فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية[1]!

ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيبًا. ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه، ويزري به. ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا. وقد غيَّر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- أسماءً وألقابًا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم[2]، أو يؤدي بهم إلى السباب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر[3].

وهكذا يرسم الإسلام الطريق للمؤمنين، ويوضح لهم المنهج الذي يسيرون عليه في الحياة دون ارتكاب المحرمات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

---

(1) المصدر السابق، ٦/٣٣٤٤.

(2) *في ظلال القرآن*، ٦/٣٣٤٤.

(3) رواه البخاري، *الفتح*، ١٠/٥٢٣، ح ٦٠٤٤.

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(١).

أخرج مالك وغيره عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك"(٢).

وعن أبي برزة الأسلمي- رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقال: " يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان في قلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين، فإنه من اتبع عورات المسلمين فضحه الله في قعر بيته" (٣).

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق عن ثور الكندي(٤) أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى، فتسوَّر عليه، فوجد عنده امرأة، وعنده خمر، فقال: يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت على معصية؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل على أن أكون عصيت الله واحدة، فقد عصيت الله في ثلاث. قال الله: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست، وقال: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾(٥) وقد تسوّرت عليَّ، ودخلت عليّ بغير إذن، وقال الله: ﴿لا

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢) .

(٢) أخرجه **مالك** في *الموطأ* ٢/٩٠٧، ٩٠٨. والبخاري في الأدب: الباب (٥٨) وعنونه بهذه الآية وروى الحديث بنحوه دون قوله (ولا يخطب..إلخ). انظر *الفتح* ١٠/٥٤٥، ح ٦٠٦٦. وأخرجه مسلم ٤/١٩٨٥، ح ٢٥٦٣. بنحو رواية البخاري. وانظر: *فتح الباري* ١٠/٤٩٩.

(٣) أورده **السيوطي** في *الدر* ٧/٥٦٨، وذكره **البغوي** في شرح *السنّة* ١٣/١٠٥، وروى له شاهدًا من حديث ابن عمر حسّنه الأرناؤوط، وأخرجه الترمذي، ح ٢٠٣٣.

(٤) هو ثور بن مالك، كان في عصر النبي – صلّى الله عليه وسلّم – وصحب معاذًا باليمن، واستخلفه على كندة، لما بلغه وفاة النبي – صلّى الله عليه وسلّم- *الإصابة* ١/٤٢٠، ٩٨٤ .

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٩).

تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [١]، فقال عمر – رضي الله عنه : فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه، وخرج وتركه [٢].

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: خطبنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – حتى أسمع العواتق في الخدر ينادي بأعلى صوته:" يا معشر من آمن بلسانه و لم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه في جوف بيته"[٣].

إن المجتمع الإسلامي الرفيع يعيش الناس فيه آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم. ولا يوجد مبرر – مهما يكن – لانتهاك حرمات النفس، والبيوت، والأسرار، والعورات، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس. فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم. وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم. وليس لأحد أن يظن، أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم، وكل ما عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها، مع الضمانات الأخرى التي ينص عليها بالنسبة لكل جريمة [٤].

وفي ختام السورة تأتي المناسبة لبيان حقيقة الإيمان وقيمته، وفي الرد على الأعراب الذين قالوا (آمَنَّا) وهم لا يدركون حقيقة الإيمان. والذين مَنُّوا على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أنهم أسلموا، وهم لا يقدرون مِنّة الله على عباده بالإيمان:

---

(١) سورة النور الآية (٢٧).

(٢) *مكارم الأخلاق* ١/ح ٥١٣، *المصنف* ٢٣٢/١٠، ح ١٨٩٤٤، *الدر المنثور* ٥٦٨/٧.

(٣) المصدر السابق، ٥٦٨/٧.

(٤) *في ظلال القرآن* ٣٣٤٦/٦.

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [١].

قيل: إنها نزلت في أعراب بني أسد[٢]. قالوا: آمنا، أول ما دخلوا في الإسلام، ومنّوا على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب و لم نقاتلك. فأراد الله أن يعلمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم، وهم يقولون هذا القول. وأنهم دخلوا في الإسلام استسلامًا، و لم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان. فدلّ بهذا على أن حقيقة الإيمان لم تستقر في قلوبهم. و لم تشربها أرواحهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الأيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

ومع هذا فإن كرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيئًا. فهذا الإسلام الظاهر الذي لم يخالط القلب فيستحيل إيمانًا واثقًا مطمئنًا. هذا الإسلام يكفي لتحسب لهم أعمالهم الصالحة فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار. ولا ينقص من أجرها شيء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام: : ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئًا﴾. ذلك أن الله أقرب إلى المغفرة،

---

[١] سورة الحجرات الآيات (١٤-١٨).

[٢] وفي هذا دليل على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه، فأُدِّبوا في ذلك. *المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير* ص١٣٠٦.

والرحمة، فيقبل من العبد أول خطوة، ويرضى منه الطاعة والتسليم، إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة:﴿إنّ الله غفور رحيم﴾. ثم بيّن لهم حقيقة الإيمان:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله. التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب. التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور. والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله. فالقلب متى تذوّق حلاوة هذا الإيمان، واطمأن إليه وثبت عليه، فإنه لابد مُنْدَفِعٌ لتحقيق حقيقته في خارج القلب. في واقع الحياة. في دنيا الناس. يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور، وواقع الحياة. ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله. لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة. ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس. فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن. يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه، ليراها ممثلة في واقع الحياة والناس [(1)] .

المطلب الرابع عشر: الإيمان حماية وضمان

النصوص الآتية ذكرها، فيها بيان آثار الإيمان في حماية حقوق الناس في المجتمع المسلم، وبيان حكم اقتراف الكبائر.

عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رجلاً سأل رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن

---

(1) *في ظلال القرآن*، ٦/٣٣٤٩.

لم تعرف[١]. وفي رواية: أي المسلمين خير، قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢]. وفي رواية جابر: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" [٣].

قال العلماء – رحمهم الله : قوله أي الإسلام خير؟ معناه: أي خصاله، وأموره، وأحواله، قالوا: وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين لاختلاف حال السائل والحاضرين، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام، وإطعام الطعام أكثر وأهم لما حصل من إهمالهما، والتساهل في أمورهما، ونحو ذلك، وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين.

وقوله – صلّى الله عليه وسلّم : "من سلم المسلمون من لسانه ويده" معناه: من لم يؤذِ مسلمًا بقول ولا فعل، وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها، وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها. والمراد بالمسلم هنا المسلم الكامل، وليس المراد نفي أصل الإسلام عمن لم يكن بهذه الصفة، بل هذا كما يقال: العلم ما نفع، أو العالم زيد، أي الكامل أو المحبوب، وكما يقال: الناس العرب، والمال الإبل، فكله على التفضيل لا للحصر، ويدل على ما ذكرناه من معنى الحديث قوله: أي المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، ثم إن كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة.

ومعنى تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، أي تسلم على كل من لقيته، عرفته أم لم تعرفه، ولا تخص به من تعرفه كما يفعله كثيرون من الناس، ثم إن هذا العموم مخصوص بالمسلمين، فلا يسلم ابتداء على كافر، وفي هذه الأحاديث جمل من العلم، ففيها :

---

[١] أخرجه مسلم ١/٦٥، ح ٣٩ في *الإيمان*، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

[٢] أخرجه مسلم ١/٦٥، ح ٤٠ في *الإيمان*.

[٣] أخرجه مسلم ١/٦٥، ح ٤١ في *الإيمان*.

١- الحث على إطعام الطعام، والجود، والاعتناء بنفع المسلمين.

٢- الكف عما يؤذيهم بقول أو فعل بمباشرة أو سبب.

٣- الإمساك عن احتقارهم والترفع عنهم.

٤- الحث على تأليف قلوب المسلمين، واجتماع كلمتهم، وتوادّهن واستجلاب ما يحصل ذلك. قال القاضي عياض – رحمه الله : " والألفة إحدى فرائض الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام، قال: وفيه بذل السلام لمن عرفت ومن لم تعرف، وإخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة، ولا ملقًا"[١]. وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع، وإفشاء شعار هذه الأمّة[٢].

روى الإمام البخاري – رحمه الله – عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[٣].

قال الحافظ – رحمه الله – في الفتح: وقوله (المسلم) قيل الألف واللام فيه للكمال نحو زيد الرجل أي الكامل في الرجولية. وتعقب بأن يستلزم أن من اتصف بهذا خاصة كان كاملاً. ويجاب بأن المراد بذلك مع مراعاة باقي الأركان، قال الخطابي: المراد أفضل المسلمين: من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين. انتهى.

وإثبات اسم الشيء على معنى إثبات الكمال له مستفيض في كلامهم، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يبين علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه، وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المنافق. ويحتمل أن يكون المراد

---

[١] *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، للقاضي **عياض** ٢٧٦/١، ط دار الوفاء.

[٢] *صحيح مسلم* بشرح **النووي**، ٣٦٩/٢، ٣٧٠.

[٣] الحديث تقدم من رواية مسلم. ورواية البخاري فيها زيادة: (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). انظر *الفتح* ٥٣/١.

بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربّه، ولأنه إذا أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

قال: وذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا، وإن كان فيهم من يجب الكف عنه[(١)].

وروى مسلم – رحمه الله – عن ابن شهاب – رحمه الله – قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب يقولان: قال أبو هريرة– رضي الله عنه : إن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"[(٢)]. قال الإمام النووي: وفي رواية "ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن"، وفي رواية "والتوبة معروضة بعد".

قال هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره (من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، وإن زنى وإن سرق)[(٣)]، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه – صلّى الله عليه وسلّم – على ألا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره، ثم قال لهم – صلّى الله عليه وسلّم – (فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئًا من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل و لم

---

(١) انظر المصدر السابق، ١/٥٣.

(٢) أخرجه **مسلم**، ١/٧٦، ح ٥٧، في *الإيمان*.

(٣) أخرجه **البخاري**، *الفتح* ٣/١٢٨، ح ١٢٣٧. ومسلم ١/٩٤، ح٩٤.

يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه)[١]، فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله – عزَّ وجلَّ : ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يُشْرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٢] مع إجماع أهل الحق على أن الزاني، والسارق، والقاتل، وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرّين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم، وأدخلهم الجنّة أولاً، وإن شاء عذّبهم ثم أدخلهم الجنّة. وكل هذه الأدلّة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه، ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة، مستعمل فيها كثير، وإذا ورد حديثان مختلفان ظاهرًا وجب الجمع بينهما، وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعا.

وتأول بعض العلماء على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه. وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري[٣]: معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين، ويستحق اسم الذم فيقال: سارق، وزانٍ، وفاجر وفاسق. وحكى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن معناه ينزع منه نور الإيمان، وفيه حديث مرفوع[٤].

---

(١) صحيح *مسلم* بشرح **النووي** ٢/٤٠١.

(٢) سورة النساء الآية (١١٦).

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العالم المجتهد، عالم العصر، **أبو جعفر الطبري**، صاحب *التصانيف البديعة*، ومنها كتاب *التفسير والتاريخ*، وُلد عام ٢٢٤هـ، وتوفي عام ٣١٠هـ. انظر *سير أعلام النبلاء* ١٤/٢٦٧-٢٨٢. *تاريخ بغداد* ٢/١٦٢-١٦٩. *وفيات الأعيان* ٤/١٩١-١٩٢. *طبقات المفسرين* **للداودي** ٢/١٠٦-١١٤.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح *مسلم* ٢/٤٠٢. *تفسير الطبري* ٧/٤٨٥ و ١٧/١٥٨-١٦٠ .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد"[١].

قال الإمام النووي– رحمه الله : "أجمع العلماء – رضي الله عنهم – على قبول التوبة ما لم يغرغر[٢]، كما جاء في الحديث، وللتوبة ثلاثة أركان: أن يقلع عن المعصية، ويندم على فعلها، ويعزم ألا يعود إليها، فإن تاب من ذنب ثم عاد إليه لم تبطل توبته، وإن تاب من ذنب، وهو متلبس بآخر صحت توبته، هذا مذهب أهل الحق، وخالفت المعتزلة في المسألتين والله أعلم"[٣].

قال القاضي عياض – رحمه الله : وقد أشار بعض العلماء أن في هذا الحديث تنبيهًا على جماع أبواب المعاصي، والتحذير منها، فنبه بالزنا على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا، والحرص على جميع ما حرم الله ، وبالخمر على جميع ما يصد عن الله تعالى، ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالانتهاب الموصوف عن الاستخفاف بعباد الله تعالى، وترك توقيرهم، والحياء منهم، وجمع أمور الدنيا من غير وجهها سرًا أو علنًا [٤].

المطلب الخامس عشر: ثمرة الإيمان الاستقامة

يقول الشيخ مناع القطان: الإيمان بمفهومه الصحيح هو عماد إصلاح النفس البشرية، واستقامة سلوكها، إنه يربي الضمير الإنساني الحي، ويجعل منه حارسًا على حرمات الناس، ولا شيء سوى الإيمان يصنع ذلك. وقد يتساءل بعض الناس عن

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، ١/٧٧ حديث الباب (١٠٤).

(٢) الغَرْغَرة والتَغَرْغُر بالماء في الحلق، وهو أن يتردد فيه ولا يسيغه، وغَرْغَر فلان بالدواء، وتغَرْغَر غرغرة وتغرغرًا. وتَغَرْغَرَت عيناه، تردد فيهما الدمع، وغَرْغَرَ: جاد بنفسه عند الموت. والغرغرة: تردد الروح في الحلق، وغرغر اللحم على النار إذا صليته فسمعت له نشيشًا. *لسان العرب* ٥/٢٠، ٢١، مادة (غرر).

(٣) شرح **النووي** على *صحيح مسلم*، ٢/٤٠٥ .

(٤) *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، للقاضي **عياض** ١/٣١٢، ط دار الوفاء .

انتشار الجريمة في المجتمعات التي تؤمن بالله، وتؤدي شعائر دينها التعبدية، ويذهب هذا التساؤل إذا ميزنا بين العبادات التي تخلو من روح العبادة الحقة في خشية الله، والتماس مغفرته، وتتحول إلى عادات تشبه التقاليد المتوارثة في حياة الأمم. والعبادات التي يؤديها المسلم عن وعي وفهم تقرّبًا إلى الله، وطلبًا لمرضاته، فهذه هي التي تحدث الآثار التربوية في سلوك الإنسان[١].

الإيمان لا يؤتي ثماره إلاّ إذا كان عن عقيدة صادقة مقرونة بالقول والعمل. وقد تحدث القرآن الكريم عن أولئك الذين يعلنون الإيمان بألسنتهم، دون أن يخالط شغاف قلوبهم، مخادعة ورياءً، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾[٢] وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً﴾[٣].

كما تحدث عن أولئك الذين يعرفون الحق ولكن الكِبْر يحول بينهم وبين الإذعان له ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤]. إن الإيمان الصادق تصديق، وقول، وعمل. تصديق بالله وبرسوله، وعالم الغيب، لا يشوبه شك ولا ارتياب، يتغلغل في سويداء القلب، فيتذوق حلاوته، ولا يرضى به بديلاً[٥].

---

[١] انظر: بحث *أثر الإيمان في مكافحة الجريمة*، لفضيلة الشيخ **منّاع خليل القطّان**، والمقدم في *الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية*. (الرياض ١٦-٢١ عام ١٣٩٦هـ)، ١/١٤١ - ١٦٠.

[٢] سورة البقرة الآيات (٨ ، ٩).

[٣] سورة النساء الآية (١٤٢).

[٤] سورة البقرة الآية (١٤٦).

[٥] **القطان**، مصدر سابق، ١/١٥٤.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[١].

إنّ هذا الإيمان هو الذي يخلق الإنسان خلقًا جديدًا فيصوغه في قالب إيماني، يبرز صورة المؤمن الحق، الذي أطاع الله مخلصًا له الدين، فأخضع سلوكه لمرضاة ربّه، مستسلمًا راضيًا، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢]. فلا اختيار له في تصرف إزاء أمر الله وأمر رسوله – صلّى الله عليه وسلّم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٣].

إنه الإيمان الذي يهذب السلوك، ويقيم قواعد العدل، ويحرس الحقوق، ويقضي على الفوضى والفساد والشر، ويربط بين قلوب معتنقيه برباط المحبة والتراحم، وهو رباط لا يعدله رباط آخر من الجنس، أو اللغة، أو الجوار، أو المصالح المشتركة. وما ساد الإيمان في أمّة، واستيقظت مشاعرها عليه، إلاّ وساد فيها الأمن النفسي في حياة الفرد، والأمن الجماعي في حياة المجتمع، وإذا فقدت أمّة هذا الإيمان دبَّ فيها الفساد، وأهدرت القيم، وأصبح أمرها فوضى، وهذا هو واقع الحياة اليوم[٤].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥].

---

[١] سورة الحجرات الآية (١٥).

[٢] سورة النساء الآية (٦٥).

[٣] سورة الأحزاب الآية (٣٦).

[٤] **القطان**، مصدر سابق ١/١٥٤، ١٥٥.

[٥] سورة الروم الآية (٤١).

فهذا الفساد الظاهر في هذا العالم إنما هو نتيجة حتمية لغياب الإيمان الذي يعصم النفوس، ويحمي المجتمعات.

وفي ظل غياب الإيمان في المجتمعات البشرية، ظهر الفساد وانتشرت الجريمة، وتفاقم الشذوذ، وازدادت العلاقات الجنسية المحرمة، وشاعت الفاحشة، وماتت الفضيلة، وتصدع بنيان الأمم والدول، ولم تعد الإنسانية تنظر إلى الإيمان على أنه الحل لمشكلاتها، ولكنها ذهبت تقدّم دراسات واسعة ومتعددة عن واقع العالم المنهار الخاوي على أنقاض الإيمان، فلم تُغنِ عنها شيئًا.

ويذكر مناع القطان عن هذه الدراسة فيقول: فالدراسات النفسية الواسعة التي شملت مراحل تطور الإنسان وبواعثه النفسية في كل طور، وأصبح كل فرع منها مستقلاً ببحث كعلم نفس الطفل، وعلم نفس المراهق، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الجنائي، والدراسات الاجتماعية في البيئة والوراثة، والتقاليد والأسرة والمجتمع، والقرية والمدينة، والبادية والحضر. والدراسات القانونية في الإدارة والتنظيم والعقوبة والسياسة، والحكم، والأحوال الشخصية، والمعاملات المدنية، والعلاقات الدولية.

هذه الدراسات وتلك لم تخط خطوة ناجحة في سبيل مكافحة الشر، واستئصال الفساد، والانحراف، والجريمة، بل إن التقارير في أنحاء العالم تثبت بالإحصاء الدقيق كثرة العصيان والتمرد، وتفاقم الفساد، وتزايد الخروج على القانون، وربما لجأت الدولة في محاربة بعض الجرائم إلى العنف ومضاعفة العقوبة – كما فعلت بعض الدول في محاربة المخدرات ففرضت الغرامة المالية الباهظة والسجن المؤبّد – فلم يغير ذلك من الواقع المرير شيئًا[١].

ونخلص من بحث ثمرة الإيمان الاستقامة، أن الإيمان هو الأساس الأول، والقاعدة الكبرى في استقامة سلوك المؤمن وعدم انحرافه، وأنه الأصل الأصيل في تحقيق التوازن

---

[١] **القطان**، مصدر سابق، ١٥٥/١.

لدى المؤمنين وبخاصة الشباب، الذين تستهويهم المظاهر الخدّاعة وزخارف الحياة البرّاقة، وتغريهم المناظر الفاتنة الداعية إلى أسباب البحث عن الجريمة والوقوع فيها.

ونخلص من ذلك أيضًا أن الإيمان حصن حصين، تتحصن به الأمّة عن هجمات الأعداء المادّية، والروحية، والحربية، وأنه الدرع الواقي الذي يقي الأمّة المسلمة من السقوط في أحضان الأعداء، والسير وراءهم فيما يخططون له من إزاحة الإسلام كدين عن هداية البشرية، وإنقاذها من حافة الدمار الشامل، في عصر العولمة، والقوى المهيمنة.

لقد استيقظ العالم في هذا العصر، ووجد أمامه صحوة إسلامية متنامية، ترغب في تقديم الإسلام كحل لما تعانيه الإنسانية اليوم في كل شؤون حياتها. فما كان من القوى المتربّصة إلاّ أن شهرت سلاحها الحربي، والإعلامي، والخلقي، بغية القضاء على روح الإسلام الكامنة، وكبت الصحوة المتنامية، لترتفع راية الكفر الظالمة :﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

المطلب السادس عشر: الحياء شعبة من الإيمان

عن سالم عن أبيه أنّ النبي – صلّى الله عليه وسلّم – سمع رجلاً يعظ أخاه في الحياء فقال: الحياء من الإيمان[2].

الحياء شعبة من شعب الإيمان، وفي هذا الحديث يؤكد النبي – صلّى الله عليه وسلّم– بأن الحياء من الإيمان، وإذا كان الحياء من الإيمان فإن أثره في الاستقامة سيكون عظيمًا.

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم، ٦٣/١، ح ٣٦.

وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستّون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[١] . والشعبة القطعة من الشيء، فمعنى الحديث بضع وسبعون خصلة.

قال القاضي عياض: "أصل الإيمان في اللغة التصديق، وفي الشرع تصديق القلب واللسان، وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا، "أفضلها لا إله إلاّ الله، وآخرها إماطة الأذى عن الطريق"[٢]. وقد نبّه – صلّى الله عليه وسلّم – على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلاّ بعد صحته"[٣].

وروى مسلم عن قتادة، قال: سمعت أبا السوار يحدث أنه سمع عمران بن حصين يحدث عن النبي - صلّى الله عليه وسلّم – أنه قال: "الحياء لا يأتي إلاّ بخير". فقال بشير بن كعب إنه مكتوب في الحكمة أن منه وقارًا، ومنه سكينة، فقال عمران: أحدثك عن رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم - وتحدّثني عن صحفك[٤] ؟

وقال مسلم: حدّثنا يحى بن حبيب الحارثي، حدثنا حماد بن زيد عن إسحاق وعن قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذٍ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم : "الحياء خير كله، أو قال: الحياء كلّه خير"[٥].

---

(١) **أخرجه البخاري**، انظر *مختصر الزبيدي* ص ٢٧، ح٩. و*مسلم* ١/٦٣، ح ٣٥.

(٢) *إكمال المعلم بفوائد مسلم* ١/٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق ١/٢٧٢.

(٤) أخرجه **مسلم** ١/٦٤ في *الإيمان*، ح رقم ٣٧.

(٥) أخرجه **مسلم** ١/٦٤ في *الإيمان*، ح الباب رقم ٦١.

قوله: "والحياء شعبة من الإيمان" وفي الرواية الأخرى: "الحياء من الإيمان"، وفي الأخرى: "الحياء لا يأتي إلاّ بخير"، وفي الأخرى: "الحياء خير كله"، أو قال:" كله خير"، الحياء ممدود وهو الاستحياء.

قال القاضي عياض وغيره من الشراح[١]: إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونيّة وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي، وأما كون الحياء خيرًا كله، ولا يأتي إلاّ بخير، فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة، وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح[٢]. – رحمه الله – أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز، وخور، ومهانة، وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازًا لمشابهته الحياء الحقيقي، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا[٣].

ومن هنا فإن خلق الحياء يمنع من التمادي في فعل المعاصي والشرور، ويبعث على أعمال الخير والبِر، ويزيد الإنسان جمالاً وبهاءً، ويكسوه سكينة ووقارًا، وحين نجد الإنسان يفعل ما يشاء، فإن ذلك ينبيء عن نفس خالية من خلق الحياء، ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت"[٤].

---

[١] انظر: *إكمال المعلم بفوائد مسلم* للقاضي **عياض** ٢٧٢/١، ٢٧٣.

[٢] في كتابه *صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط*، تحقيق موفق عبدالله بن عبدالقادر، ص ١٩٩.

[٣] *صحيح مسلم بشرح* **النووي** ٣٦٣/٢ – ٣٦٥.

[٤] أخرجه **أحمد** في *المسند* ١٢١/٤، ١٢٢، ٢٧٣/٥. والبخاري ٦٨/٤ في كتاب *الأدب*، باب (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت). وأبو داوود في سننه، ح ٤٧٩٧ .

المطلب السابع عشر: تغيير المنكر بالقلب أضعف الإيمان

الإنسان صاحب غرائز وشهوات وأهواء، ومعرَّض للفتنة ووسوسة الشيطان ونزغاته، لذلك فإن من المنطلقات الإيمانية في الإسلام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لإقامة المعوج، وإصلاح الفاسد، والتقويم المستمر لجنوح الإنسان.

ومن هذا المنطلق نجد أن من العوامل المهمة المؤثرة في استقامة سلوك الإنسان هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[١] .

قال الإمام النووي – رحمه الله : "وأما قوله – صلّى الله عليه وسلّم – "فليغيّره" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمّة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة، وهو أيضًا من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلاّ بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل، خلافًا للمعتزلة. وأما قول الله – عزّ وجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [٢]، فليس مخالفًا لما ذكرناه، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم

---

(١) أخرجه **مسلم** في *الإيمان*، ١/٦٩، ح ٤٩.

(٢) سورة المائدة الآية (١٠٥).

تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[(١)] فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدّى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القول والله أعلم" [(٢)].

ثم إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر، ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلاّ هو، أو لا يتمكن من إزالته إلاّ هو، وكمن يرى زوجته، أو ولده، أو غلامه، على منكر أو تقصير في المعروف.

وذكر الإمام النووي– رحمه الله تعالى – أنه لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقال : ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنبًا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر، وإن كان مُخِلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبسًا بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يُباح له الإخلال بالآخر؟

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين. قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول، والعصر الذي يليه، كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية[(٣)].

---

(١) سورة فاطر الآية (١٨).

(٢) صحيح *مسلم* بشرح **النووي** ٢/٣٨١.

(٣) المصدر السابق ٢/٣٨١، ٣٨٢؛ *الأحكام السلطانية*، **الماوردي**، ص٢٤٠ .

ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة، والصيام، والزنا، والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أُجْمِعَ عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد، والمخطئ غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لزم منه إخلال بسنّة أو وقوع في خلاف آخر، وذكر أبو الحسن الماوردي[1]. البصري الشافعي في كتابه الأحكام السلطانية[2] خلافًا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟ والأصح أنه لا يغير لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم – رضي الله عنهم أجمعين – ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه، إذا لم يخالف نصًا، أو إجماعًا، أو قياسًا جليًا، والله أعلم[3].

واعلم أن هذا الباب، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلاّ رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشافعي. كان إمامًا في الفقه والأصول والتفسير، صنف (*الحاوي*) و (*الإقناع*) و(*أدب الدنيا والدين*). توفي سنة (٤٥٠هـ). *العبر* **للذهبي** ٢/٢٩٦. *شذرات الذهب* ٣/٢٨٤. *البداية والنهاية* ١٢/٧٩.

(٢) ص ٢٤١ .

(٣) شرح **النووي** على *صحيح مسلم*، ٢/٣٨٢، ٣٨٣، *الأحكام السلطانية* **للماوردي**، ص ٢٤٩ .

قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١). فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله – عزَّ وجلَّ– أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيّته ولا يهابنَّ من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢)وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾(٥).

واعلم أن الأجر على قدر النَصَب، ولا يتاركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المترلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه، ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًّا لنا لهذا، وكانت الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المؤمنين لمرضاته، وأن يعمنا بجوده ورحمته، والله أعلم.

---

(١) سورة النور الآية (٦٣).

(٢) سورة الحج الآية (٤٠).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠١).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٥) سورة العنكبوت الآيات (٢، ٣).

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقـــرب إلى تحـــصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي[1] – رضي الله عنه – من وعظ أخاه ســـرًا فقـــد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. ومما يتساهل أكثر الناس فيه مـــن هذا الباب ما إذا رأى إنسانًا يبيع متاعًا معيبًا، أو نحوه فإنهم لا ينكـــرون ذلـــك، ولا يعرّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر، وقد نصَّ العلماء على أنه يجب على من علم ذلك أن ينكر على البائع وأن يعلم المشتري به والله أعلم.

وأما صفة النهي ومراتبه، فقد قال النبي- صلّى الله عليه وسلّم – في هذا الحـــديث الصحيح " فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه" فقوله – صـــلّى الله عليه وسلّم – "فبقلبه" معناه فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكـــر، ولكنه هو الذي في وسعه[2]. قال الإمام النووي: وقوله – صلّى الله عليه وســـلّم – "وذلك أضعف الإيمان" معناه (والله أعلم) أقلّه ثمرة.

قال القاضي عياض – رحمه الله – "هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيّره بكل وجه أمكنه زواله به، قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريـــق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب، ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم المخوف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتمادي في غيه، والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره، لكون جانبه محميًا عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله، أو قتل غيره بسبب كف يده، واقتصر علـــى القـــول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في

---

[1] انظر *الأحكام السلطانية*، ص : ٢٥٠-٢٥١.

[2] شرح **النووي** على *صحيح مسلم*، ٣٨٣/٢، ٣٨٤.

وسعه، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤدِ ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة، وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافًا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال، وإن قتل أو نيل منه كل أذى"[(١)]. هذا آخر كلام القاضي – رحمه الله .

وقال إمام الحرمين – رحمه الله : ويسوغ لآحاد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال، وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان. قال: وليس للآمر بالمعروف البحث، والتنقير، والتجسس، واقتحام الدور بالظنون، بل إن عثر على منكر غيره جهده. هذا كلام إمام الحرمين[(٢)].

وقال الماوردي: ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس، ويقدم على الكشف، والبحث حذرًا من فوات مالا يستدرك، وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المتطوعة، جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار.

الضرب الثاني: ما قصر عن هذه الرتبة فلا يجوز التجسس عليه، ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار لم يهجم عليها بالدخول، لأن المنكر ظاهر، وليس عليه أن يكشف عن الباطن[(٣)].

---

(١) *إكمال المعلم بفوائد مسلم* للقاضي **عياض** ١/٢٩٠ .

(٢) شرح *صحيح مسلم* **للنووي** ٢/٣٨٥ .

(٣) *الأحكام السلطانية* ص: ٢٥٢- ٢٥٣ .

وقد ذكر الماوردي في آخر الأحكام السلطانية بابًا حسنًا في الحسبة [١]، مشتملاً على جمل من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشرنا هنا إلى مقاصدها وبسطت الكلام في هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة إليه، وكونه من أعظم قواعد الإسلام والله أعلم[٢].

لابد أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالمًا، فطنًا، حكيمًا، ليّنًا، سمحًا، يعالج الأمور بحسب حكم الإسلام من أجل حصول النفع، وإزالة الضرر، وكذلك ينبغي أن يكون الواعظ، والداعية ونحوهم.

قال سيد قطب: وأيما داعية لا يحس مشاعر الذين يدعوهم، ولا يحسون مشاعره، فإنه يقف على هامش حياتهم، لا يتجاوب معهم، ولا يتجاوبون معه. ومهما سمعوا من قوله فلن يحركهم للعمل بما يقول، لما بينه وبينهم من قطيعة في الحس والشعور. وأيما داعية لا يصدق فعله قوله، فإن كلماته تقف على أبواب الآذان، لا تتعدّاها إلى القلوب، مهما تكن كلماته بارعة، وعباراته بليغة. فالكلمة البسيطة التي يصاحبها الانفعال، ويؤثرها العمل، هي الكلمة المثمرة التي تحرك الآخر إلى العمل)[٣].

---

[١] من ص ص: ٢٤٠ – ٢٥٩ .

[٢] شرح **النووي** على *صحيح مسلم*، ٣٨٦/٢ .

[٣] *في ظلال القرآن*، **سيد قطب**، ٢٣٦٩/٤.

الخاتمة

تم – بحمد الله تعالى – إعداد بحث "نفحات إيمانية تهدي إلى الرشد والاستقامة في ضوء الكتاب والسنّة" ولله الحمد والمنّة. ومن خلال البحث والدراسة نخرج بالنتائج الآتية:

١) أن الإيمان هو ينبوع الحياة الروحية للإنسان، إذا فقده أصبح في حكم الأموات، لا قيمة له في البقاء، ولا حكمة من وجوده. بل وجوده في غياب الإيمان عنه سيكون عبثًا في الوجود، ومصدر شقاء لأخيه الإنسان، وعامل دمار، وهلاك، وخراب لحضارة هذا العالم المتمدن.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

٢) أنّ وجود الإيمان ضرورة ملحة، لا غنى عنه لكل إنسان يعيش على ظهر هذه الأرض.

٣) أن الحياة البشرية لا تستقيم، ولا يهدأ لها بال، ولا يستقر لها حال، مادام الإيمان معزولاً عن حياة الناس.

٤) أن شقاء الإنسان في هذا العالم هو نتاج غياب الإيمان الصحيح في حياته.

٥) أن الله تعالى لا يعبد حق عبادته إلاّ بوجود مؤمنين به، وبكل ما من شأنه الإيمان به، مما هو مطلوب من المؤمن.

٦) أن عمارة الأرض وصلاحها لا يكون إلاّ في ظل الإيمان.

٧) أن ما يصيب البشرية من ويلات سببه الجحود والنكران، وعدم الفهم لحقائق الإيمان، ومفاهيمه كما يريد الله.

---

[1] سورة الأنعام الآية (١٢٢).

٨) أن البشرية تعيش وفق نظام لا يستند إلى إيمان صحيح يضبط الحياة، ويصلح أحوال الناس إلاّ من رحم الله ممن آمن وعمل صالحًا.

٩) أن الكافرين بكل مللهم وأديانهم لو عرفوا حقيقة الإيمان وشُعَبه، وذاقوا طعم حلاوته، وعلموا كم هي السعادة في ظله، لتسابقوا إليه آناء الليل والنهار، ولكفوا عن الإفساد في الأرض، وعاشوا عيشة راضية، بدل أن يعيشوا عيشة ضنكًا.

١٠) أن ما قدمته من دراسة عن الإيمان في هذا البحث يُعد خلاصة للقيمة الإيمانية التي ينبغي أن تكون مزروعة في جوف كل إنسان في هذا الوجود.

١١) أن الوحدة الإيمانية بين الرسالات السماوية كافة، وبين الرسل عامة، هي قاعدة التصور الإسلامي، وهي التي تجعل من الأمّة المسلمة، الأمّة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله تعالى الذي رضيه لعباده المؤمنين.

١٢) أن واقع أحوال البشرية في الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري وما يأتي بعده، لهو واقع ينذر بانسلاخ المؤمنين بالله من عقيدتهم وإيمانهم، بما يمثله هذا الواقع من زيغ عن الهدى، والمبادئ، والأخلاق، والقيم التي جاءت بها رسالات الله إلى البشرية، وآخرها رسالة الإسلام إلى الناس جميعًا.

١٣) أن واقع العالم اليوم واقع يسوده الانحراف، والإجرام، والإلحاد، والزيغ، والطغيان، والظلم، والعدوان، وهذا ينذر بشقاء الإنسانية وهلاكها، وليس هناك من مخرج إلاّ أن يعود المؤمنون بالله إلى الإيمان الصحيح، الذي يجلب لهم الأمن، والأمان والاستقرار، ويخرجهم من ظلمات الكفر والإلحاد إلى نور الإيمان، الذي يهديهم سبل السلام والرشاد، ويجلب لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

المصادر

دي، **محمد شمس الحق** (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م) *عون المعبود* شرح *سنن أبي داود*، ط٢، المكتبة السلفية (محمد عبد المحسن)، المدينة المنورة.

اهيم، **أحمد عبدالرحمن** (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م) *الفضائل الخلقية في الإسلام*، دار الوفاء، المنصورة.

الأثير، **أبو السعادات المبارك بن محمد** (١٤٠٣هـ) *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ط٢، دار الفكر، بيروت.

صبحي، **مالك بن أنس**، *الموطأ*، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

صفهاني، **أبو نعيم، أحمد بن عبدالله**، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، دار الفكر، بيروت.

صفهاني، **أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب**، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

لباني، **محمد ناصر الدين** (١٣٩٩هـ) *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، المكتب الإسلامي، بيروت.

لباني، **محمد ناصر الدين** (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) *صحيح الجامع الصغير وزياداته*، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

لباني، **محمد ناصر الدين** (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) *الجامع الصغير*، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

حدح، **علي عمر، وباجابر ، محمد أحمد**، *الثقافة الإسلامية*، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة.

خاري، **محمد بن إسماعيل**، *الأدب المفرد*، دار مكتبة الحياة، بيروت.

غدادي، **أبو بكر أحمد علي الخطيب**، *تاريخ بغداد*، دار الكتب العلمية، بيروت.

غوي، **أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي** (١٣٩٠هـ) شرح *السنّة*، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي.

يهقي، **أبو بكر أحمد بن الحسين** (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) *الجامع لشعب الإيمان*، الدار السلفية.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (١٤٠٦هـ) *سنن البيهقي*، دار المعرفة، بيروت.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره، *سنن الترمذي*، تحقيق:أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٣٩٨هـ) *مجموع الفتاوى*، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد الحنبلي.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٣٩٢هـ) *كتاب الإيمان*، ط٢، المكتب الإسلامي.

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، *الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية*.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (١٤٠٥هـ) *التعريفات*، ت: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي.

الجريوي، عبدالرحمن (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) *منهج الإسلام في مكافحة الجريمة*، المدينة المنوَّرة.

الجوزية، عبدالله بن محمد بن القيم (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) *مدارج السالكين*، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي (١٤٠٤هـ) *زاد المسير في علم التفسير*، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*، مؤسسة الرسالة بيروت.

ابن الجوزي، عبدالرحمن (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) *صفوة الصفوة*، دار المعرفة، ط٢، بيروت.

الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ت (٤٠٥)، *المستدرك*، دار الفكر، بيروت.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (١٣٩٠هـ-١٩٧١م) *لسان الميزان*، مؤسسة الأعلمي، ط٣ بيروت.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (١٣٢٥هـ) *تهذيب التهذيب*، دائرة المعارف، الهند.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) *تقريب التهذيب*، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

حجر، أحمد بن علي العسقلاني (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تحقيق: محمد الدين الخطيب، المطبعة السلفية، فتح الباري، دار الحديث، القاهرة.

كمي، حافظ بن أحمد، *معارج القبول*، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث، الرياض.

ميدي، أبو بكر عبدالله بن الزبير، *المسند*، تحقيق: عبدالله يماني، ودار المحاسن، القاهرة، المدينة.

نبل، الإمام أحمد بن محمد (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥م) *المسند*، المكتب الإسلامي. المسند، تحقيق: أحمد شاكر، وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة.

نبل، أحمد بن محمد، *المسند*، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

نبل، أحمد بن محمد، *الزهد*، دار الريان، القاهرة.

نبل، أحمد بن محمد (١٩٨٣م) *كتاب الورع*، دار الكتب العلمية، بيروت.

نبل، عبدالله بن أحمد بن حنبل (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) *السّنة*، دار الكتب العلمية.

وى، سعيد (١٤٠٥هـ - ١٩٨٩م) *الأساس في التفسير*، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر.

خرائطي، الحافظ أبو بكر، محمد بن جعفر بن سهل السامري، *مكارم الأخلاق ومعاليها*، مكتبة السلام العالمية، القاهرة.

ن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد، *وفيات الأعيان*، دار صادر، بيروت، لبنان.

دار قطني، على بن عمر، *السنن*، تحقيق: عبدالله يماني، ودار المحاسن، القاهرة.

لدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن (١٤٠٤هـ) تحقيق: عبدالله هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

بو داوود، سليمان بن الأشعث، *سنن أبي داوود*، دار الباز للنشر والتوزيع.

لداوودي، محمد بن علي (١٤٠٣هـ-١٩٨٩م) *طبقات المفسرين*، دار الكتب العلمية، بيروت.

راز، محمد عبدالله (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) *دستور الأخلاق في القرآن*، ط٧.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) سير *أعلام النبلاء*، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، .

الذهبي، محمد بن أحمد (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) *الكاشف*، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) *العبر في خبر من غبر*، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة .

الرفاعي (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) *تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير*، مكتبة المعارف، الرياض.

الراضي، سمير جميل أحمد (١٤٠٣هـ) *المراهقون: دراسة تربوية نفسية من وجهة النظر الإسلامية*، رابطة العالم الإسلامي.

الزبيدي، أحمد بن عبداللطيف (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) *مختصر صحيح البخاري*، ط٣، دار النفائس.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان*، تقديم وتحقيق مجموعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزين، سميح عاطف، *طريق الإيمان*، ط٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

آل سعود، سعود بن سلمان وآخرون، *مدخل إلى الثقافة الإسلامية*.

السمالوطي، نبيل (١٤١١هـ) *الإسلام ومواجهة الجريمة والانحراف في المجتمع*، شركة تيبسا، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

السيوطي، جلال الدين محمد (١٤٠٣هـ) *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، ، دار الفكر، بيروت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (١٤٠٣هـ) *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٤١٢هـ) *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، بيروت.

شوكاني، **محمد بن علي بن محمد** (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) *نيل الأوطار*، تحقيق: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود، أحمد عيسى المعطراوي، دار الكتاب العربي، بيروت.

صباغ، **عبداللطيف** (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) *التصوير الفني في الحديث النبوي*، المكتب الإسلامي، بيروت.

ن الصلاح، **أبو عمرو عثمان بن موسى الكردي** (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) *صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط*، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

صنعاني، **أبو بكر عبدالرزاق بن همام** (١٣٩٠هـ) *المصنف*، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

بارة، **عفيف عبدالفتاح**، *روح الدين الإسلامي*، ط١٥، دار العلم، بيروت.

اشور، **عبدالفتاح** (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) *منهج القرآن في تربية المجتمع*، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ن عاشور، **محمد الطاهر** (١٩٨٤م) *التحرير والتنوير*، مكتبة ابن تيمية، الدار التونسية، تونس.

عتيبي، **إبراهيم بن عويض** (١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ) *تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز* ، الرياض.

ن عطية، **أبو محمد عبد الحق الأندلسي** (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) *المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز*، دار ابن حزم، جدة.

ن العماد، **أبو الفلاح عبدالحي الحنبلي**، *شذرات الذهب*، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

عمري، **أكرم ضياء** (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) *السيرة النبوية الصحيحة*، ط٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

ودة، **عبدالقادر**، *التشريع الجنائي الإسلامي*، مؤسسة الرسالة، بيروت.

لغزالي، **الإمام أبو حامد**، *إحياء علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت.

لغزالي، **أبو حامد محمد بن محمد**، *بداية الهداية*: أدب المسلم في اليوم والليلة، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة.

الفار، عبدالواحد محمد، *الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنّة*، سلسلة الكتاب الجامعي، الكتاب الرابع (د.ط).

الفارسي، علاء الدين علي بن بلبان (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) *الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان*، دار الكتب العلمية، بيروت.

القاسمي، محمد جمال الدين، *تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين*، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، جدة.

القرضاوي، يوسف (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) *الإيمان والحياة*، ط٣، مطبعة التقدم.

القرطبي، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الكتب المصرية، القاهرة.

القرطبي، أبو العباس، أحمد بن عمر (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، ت.مجموعة، دار ابن كثير، ط٢، دمشق.

القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (١٤٠٠هـ) *صحيح مسلم*، تحقيق: محمود فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

القطان، مناع خليل (١٣٩٦هـ) *أثر الإيمان في مكافحة الجريمة*، بحث ضمن جريدة الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية، (الرياض ١٦-٢١ شوال) .

القطان، مناع خليل، *تاريخ التشريع الإسلامي*، مؤسسة الرسالة، بيروت.

قطب، سيد (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) في ظلال القرآن، ط٣، دار الشروق، القاهرة.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) *تفسير القرآن العظيم*، دار المعرفة، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء، *المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير*، إعداد جماعة من العلماء، دار السلام، الرياض.

ابن كثير، أبو الفداء (١٩٦٦م) *البداية والنهاية*، مكتبة المعارف، بيروت.

ماجة، **عبدالله بن يزيد القزويني**، *السنن*، دار إحياء التراث العربي.

ردي، **أبو الحسن علي بن محمد البصري** (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) *الأحكام السلطانية*، ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

اغي، **أحمد مصطفى**، *تفسير المراغي*، دار الفكر، بيروت.

اغي، **أحمد مصطفى** (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) *تفسير المراغي*، دار الفكر، بيروت.

ة، **محمد بن إسحاق** (١٤٠١هـ-١٩٨١م) *كتاب الإيمان*، الجامعة الإسلامية، إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

ذري، **أبو محمد عبدالعظيم عبدالقوي** (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) *الترغيب والترهيب*، ط٣، دار إحياء التراث العربي.

ذري، **عبدالعظيم عبد القوي** (١٤٠٠هـ) *مختصر سنن أبي داوود*، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

منظور، **أبو الفضل، جمال الدين محمد**، *لسان العرب*، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

داني، **عبد الرحمن حنبكة** (١٣٩٩هـ) *الأخلاق الإسلامية وأسسها*، دار القلم، دمشق .

دوي، **أبو الحسن** (١٣٩٤هـ- ١٩٦٥م) *الأركان الأربعة*، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

سائي، **أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب** (١٤٠٩هـ) *سنن النسائي*، بشرح السيوطي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

ووي، **محي الدين يحيى بن شرف**، شرح *صحيح مسلم*، دار القلم، بيروت.

اشمي، **محمد علي** (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) شخصية *المسلم*، ط٤، دار البشائر الإسلامية.

هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (١٤٠٢هـ) *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

اليحْصَبي، أبو الفضل عياض بن موسى (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، ط٢، دار الوفاء.

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) (ت٢١٠ – ٣٠٧هـ)، *المسند*، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.

Breathes of Faith Leading to Right Guidance and Straightness in terms of the Qur'an and Sunna

Abdullah Seif Al-Azdi

Abstract. This research is considered a faithful and sincere appeal to all and every human being to live under the shadow of faith and vehement belief in ALLAH in order to fulfill and achieve happiness in both the mundane world as well as the Hereafter.

This research does elucidate the real and genuine value of life through believing in ALLAH, as well as does depict the extent of despair to which life would steer, the tragedy and deviation wherein Man would live, and the destruction and distress in absence of faith (*Iman*).

The objective of such research is to shed light upon the value of faith and its role in achieving happiness and prosperity of people in the mundane world as well as in the Hereafter. Such objective is can be achieved by fulfilling seventeen (17) demands tantamount and have been mentioned in the paper.

This research aims is indicate the significance of faith (*Iman*) and its profound influence upon rectifying the course of mankind in the contemporary times, after vanishing from people's lives; a matter that causes the emergence and dissemination of contraventions, fallacies, setbacks, crises, wars in human societies all over the world.

Thanks to the search in question, the objective also indicates that the suffer sustained by mankind today is mainly attributed to deviation from adopting the genuine concepts of faith revealed by ALLAH (*to Whom be ascribed all perfection and majesty)* in the holy Qur'an, Bible and Old Testament wherein means of salvation, prevention and protection have been stated. Such means would act to extricate the human societies from the deteriorating and desperate status, as well as from those conditions replete with tragedy, distress and despair.